الباب الحادى والثلاثون

اليابان الجديدة

الفصل الأول

الثورة السياسية

تدهور الحكم العسكرى – أمريكا تطرق الباب – عودة السلطة الإمبراطورية
تغريب اليابان – التجديد السياسى – الدستور الجديد – القانون – الجيش
الحرب مع الروسيا – نتائجها السياسية

يندر أن يأتى الموت إلى مدينة من خارجها ، بل لا بد للانحلال الداخلى أن يفت فى نسيج المجتمع أولا قبل أن يتاح للمؤثرات أو الهجمات الخارجية أن تغير جوهر بنائها ، أو أن تقضى عليها قضاء أخيراً ؛ فقلما يكون للأسرة الحاكمة تلك الحيوية الدءوب والمرونة السريعة التشكل ، اللتان يتطلبهما استمرار السيادة ، فمؤسس الأسرة المالكة يستنفد نصف القوة الكامنة فى أصلاب أسرته ثم يترك لغير الممتازين من خلفه عبئاً لا يستطيع حمله إلا العباقرة ؛ فأسرة « توكوجاوا » بعد « أيياسو » حكمت البلاد حكماً لا بأس به ، لكننا لو استثنينا منها « يوشيمونى » لما وجدنا بين أفرادها شخصيات بارزة تستوقف النظر ؛ فما انقضت بعد موت « أيياسو » ثمانية أجيال حتى راح أمراء الإقطاع يزعزعون قوائم تلك الأسر العسكرية بثوراتهم التى ما فتئت تنهض حيناً بعد حين ؛ فكانوا يسوِّفون فى دفع الضرائب أو يمتنعون عن دفعها ؛ وعجزت خزانة « ييدو » – بالرغم من التدابير الاقتصادية العنيفة التى اتخذت – عن تمويل الدفاع القومى أو صيانة الأمن فى البلاد[1] . وقد مر على البلاد أكثر من

قرنين حيث ساد السلام فتطرّت خشونة « السيافين » وضعف احتمال الشعب لكاره الحروب وتضحياتها ؛ وحلّت فى الناس نزعات أبيقورية (ترمى إلى التمتع) محل البساطة الرواقية التى كانت سائدة فى عهد هيديوشى ؛ فلما أن دعيت البلاد فجأة لحماية سيادتها ، وجدت نفسها منزوعة السلاح بمعناه المادى والخلقى جميعاً ؛ وانحل العقل اليابانى بفعل اعتزالها الاتصال بالأجانب ، وأخذ الناس يسمعون بتطلع قلق عن ازدياد الثروة وتغير المدنية فى أوربا وأمريكا ؛ وراح هؤلاء الناس يدرسون ما جاء بكتابى « مابوشى » و « موتو — أورى » وشاع بينهم فى الخفاء أن الحكام العسكريين مغتصبون للحكم ، وقد فككوا باغتصابهم ذلك استمرار سيادة الإمبراطورية ، ولم يستطع الشعب أن يوفق بين الأصل الإلهى للإمبراطور ، وبين فقره المدقع الذى فرضته عليه أسرة « توكوجاوا » ؛ وجعل الدعاة إلى قلب نظام الحكم العسكرى القائم ، يخرجون من مكامنهم فى « يوشيوارا » وغيرها ويغمرون البلاد بنشراتهم التى تحرض الناس على ذلك الانقلاب ، وإرجاع الإمبراطور للحكم .

ونزلت النازلة على رأس هذه الحكومة المرتبكة الفقيرة ، حين شاع النبأ سنة ١٨٥٣ بأن أسطولا أمريكياً قد تجاهل الأوامر اليابانية التى تحرم دخول خليج أوراجا ، ودخل ذلك الخليج ، وأن قائده يلح فى مقابلة صاحب السلطة العليا فى اليابان ، والحقيقة أن « الكومودور پرى » كان يقود أربع سفن حربية فيها خمسمائة وستون رجلا ، وبدل أن يعرض هذه القوة المتواضعة عرضاً فيه معنى التهديد ، أرسل مذكرة ودية إلى الحاكم العسكرى « أييوشى » يؤكد له أن الحكومة الأمريكية لا تطلب أكثر من فتح بضعة موان يابانية فى وجه التجارة الأمريكية ، واتخاذ بعض الإجراءات لحماية البحارة الأمريكيين الذين قد تتحطم بهم سفائنهم على الشواطئ اليابانية ، ولم يلبث (پرى) أن اضطر إلى العودة إلى قاعدته فى المياه الصينية بسبب (ثورة تاى — ينج) ؛ لكنه عاد إلى اليابان من جديد سنة ١٨٥٤ مسلحاً بقوة بحرية أكبر ، ومزوداً

بمختلف الهدايا المغرية — عطور وساعات ومدافئ وشراب الوسكى . . . يقدمها للإمبراطور والإمبراطورات وأمراء البيت المالك ؛ غير أن الحاكم العسكرى الجديد « أييسادا » تعمد ألا يرسل هذه الهدايا إلى أفراد الأسرة المالكة ، ووافق على توقيعه لمعاهدة « كاناجاوا » التى اعترفت بكل ما طلبه الأمريكان ؛ وهنا أثنى « برى » على حسن لقاء أهل الجزر اليابانية ، وأعلن مدفوعاً بقصر نظره أنه « لو جاء اليابانيون إلى الولايات المتحدة ، وجدوا المياه الصالحة للملاحة فى البلاد مفتوحة أمامهم ، وأنه ستفتح لهم أبواب مناجم الذهب نفسها فى كليفورنيا »[٢] وهكذا فتحت الموانى اليابانية الكبرى للتجارة الخارجية بمقتضى هذه المعاهدة وما تلاها من معاهدات ؛ وحددت الضرائب الجمركية وفصّلت مقاديرها وأنواعها ؛ ووافق اليابانيون على أن يحاكم المتهمون من الأوربيين والأمريكيين فى اليابان أمام محاكمهم القنصلية ؛ واشترطت شروط اتفق فيها على أن يوقف اضطهاد المسيحية فى الإمبراطورية اليابانية ، ووافقت الولايات المتحدة فى الوقت نفسه أن تبيع لليابان كل ما تحتاج إليه من أسلحة وسفن حربية ، وأن تعيرها الضباط والصناع لعل هذه الأمة المسالمة مسالمة صبيانية أن تتعلم على أيديهم فنون القتال[٣] .

وعانى الشعب اليابانى أقسى عناء مما فرضته هذه المعاهدات عليه من فروض الذل ، ولو أنه عاد فنظر إليها على أنها أدوات محايدة جاءته لتعمل على تطوره ، وتقرير مصيره ؛ وود بعض اليابانيين أن يقاتل الأجانب مهما تكلف فى سبيل ذلك ، وأن يطردهم ويعيد للبلاد نظامها الزراعى الإقطاعى الذى يكفيها مؤونة الاعتماد على غيرها ؛ لكن بعضهم الآخر كان من رأيه أن تقليد الغرب أجدى من طرده من بلادهم ؛ فالوسيلة الوحيدة التى تستطيع بها اليابان أن تتجنب الهزائم المتكررة والخضوع الاقتصادى الذى يشبه ما كانت أوربا تفرضه عندئذ على الصين ؛ هى أن تتعلم اليابان بأسرع طريقة ممكنة أساليب الصناعة الغربية ، وفن الحرب الحديثة ؛ وهنا نهض الزعماء

الداعون إلى تغريب البلاد، واستعملوا اللباقة البالغة فى استخدام سادة الإقطاع أعواناً لهم فى قلب الحكم العسكرى، وإعادة الإمبراطور، وبعدئذ استخدموا السلطة الإمبراطورية فى قلب نظام الإقطاع وإدخال الصناعة الغربية فى البلاد، وهكذا حدث سنة ١٨٦٧ أن حمل أمرا الإقطاع «كيكى» — آخر الحكام العسكريين — على النزول عن سلطته، وقد قال «كيكى»: «إن معظم أعمال الإدارة الحكومية معيبة، وإنى لأعترف خجلا بأن الأمور فى وضعها الراهن يرجع نقصها إلى ما أتصف به أنا من نقص وعجز، وهاهو ذا اتصالنا بالأجانب يزداد يوماً بعد يوم؛ فما لم تتولَّ إدارة البلاد سلطة مركزية موحدة، انهار بناء الدولة انهياراً من أساسه»(٤)؛ وعلى هذا القول أجاب الإمبراطور «ميچى» فى اقتضاب قائلا: «قد قبلنا ما عرضه توكوجاوا كيكى من إعادة السلطة الإدارية إلى البلاط الإمبراطورى، وفى اليوم الأول من يناير سنة ١٨٦٨ بدأ العهد الجديد «عهد ميچى» بداية رسمية.

وروجعت الديانة الشنتوية القديمة، وقام أولو الأمر بدعاية قوية فى الشعب حتى أقنعوه بأن الإمبراطور العائد إلى عرشه إلهىُّ النسب والحكمة، وأن ما يصدره من مراسم يجب طاعته، كما تجب طاعه أوامر الآلهة.

فلما أن توفرت هذه القوة الجديدة لأنصار التغريب تمتْ على أيديهم معجزة أو ما يوشك أن يكون معجزة فى تحول البلاد تحولا سريعاً؛ فقد شق «إتوا» و«إنوبى» طريقهما إلى أوربا رغم كل ما صادفهما من صعاب وعقبات، ودَرَسا أنظمتها وصناعاتها، ودهشا لطرقها الحديدية وسفنها البخارية، وأسلاكها البرقية وسفنها الحربية، ثم عادا إلى بلادهما تشتعل فى صدريهما الحماسة الوطنية نحو تحويل اليابان إلى صورة أوربية، فدُعِى رجال من الإنجليز للإشراف على بناء السكك الحديدية وإقامة الأسلاك البرقية وتكوين الأسطول، كذلك دعى رجال من الفرنسيين ليعيدوا صياغة القوانين ويدربوا

الجيش ، وكلف رجال من الألمان بتنظيم شئون الطب والصحة العامة ، واستخدم الأمريكان فى وضع نظام للتعليم العام ، ولكى يتم لهم الأمر من جميع نواحيه جاءوا برجال من إيطاليا ليعلموا اليابانيين النحت والتصوير(٥) ، وقد كان يحدث بعض الحركات الرجعية أحياناً ، وكانت تصل هذه الحركات إلى حد إراقة الدماء ، بل كانت الروح اليابانية كلها تثور آناً بعد آن على هذا التحول المصطنع الذى رج أوضاع الحياة كلها ، لكن الآلة شقت طريقها آخر الأمر ، ودخلت اليابان بلداً جديداً فى نطاق الانقلاب الصناعى .

ورفعت هذه الثورة بالطبع (وهى الثورة الوحيدة الحقيقية فى التاريخ الحديث) ، طبقة جديدة من الرجال إلى منازل الثروة والقوة الاقتصادية ، — منهم الصناع والتجار والممولون — وقد كان هؤلاء فى اليابان القديمة يوضعون فى أسفل درجات السلّم الاجتماعى ؛ وجعلت هذه الطبقة (البرجوازية) الصاعدة تستخدم فى هدوء ما أتيح لها من مال وقوة نفوذ فى تحطيم النظام الإقطاعى أولا ، ثم عقبت على ذلك بالحد من سلطة العرش العائدة بحيث جعلت منها سلطة وهمية ؛ ففى عام ١٨٧١ حملت الحكومة أشراف الإقطاع على النزول عن امتيازاتهم القديمة ، وعوضتهم عن أراضيهم بسندات أصدرتها الحكومة(*) .

ولما كانت الطبقة الأرستقراطية القديمة قد ارتبطت هكذا بروابط المصلحة المادية مع المجتمع الجديد ، فقد بذلت خدماتها للحكومة عن ولاء ورضى ، ومكنتها من تحويل البلاد من عصرها الوسيط إلى عصرها الحديث دون أن تسفك الدماء فى هذا السبيل ، وكان « إيتو هيرو بومى » قد عاد لتوه من زيارته الثانية لأوربا ؛ فجرى فى بلاده على غرار ما رآه فى ألمانيا ، إذ أنشأ بها طبقة عالية جديدة مؤلفة من خمس درجات :

(*) كان هذا الإجراء يقابل فى جوهره إلغاء النظام الإقطاعى وما يتبعه من عبودية فى فرنسا سنة ١٧٨٩ وفى روسيا سنة ١٨٦٢ ، وفى الولايات المتحدة سنة ١٨٦٣ .

أمير ؛ فاركيز ، فكونت ، ففيكونت ، فبارون .

لكن هؤلاء جميعاً لم يكونوا هم الأعداء الإقطاعيين للنظام الصناعى الجديد بل كانوا لهذا النظام أعوانه المأجورين .

جاهد « إيتو » فى تواضعه جهاداً لم يعرف الكلل ، ليحقق لبلاده ضرباً من الحكومة لا تعيبه العيوب التى بدت فى عينيه عيوباً ناشئة من الإفراط فى الديموقراطية ، على ألا يحد ذلك من تجنيد أصحاب النبوغ وتشجيعهم مهما تكن طبقتهم الاجتماعية لكى يحققوا للبلاد رقياً اقتصادياً سريعاً ؛ وتمكنت اليابان فى ظل زعامته أن تعلن أول دستور لها سنة ١٨٨٩ ؛ فكان الإمبراطور فى قمة البناء التشريعى ، إذ كان من الوجهة الدستورية رأس الحكومة الأعلى ، ومالكاً للأرض كلها ، وقائداً للجيش والأسطول المسئولين أمامه وحده ، وهو الذى يُكسب الإمبراطورية وحدتها واستمرارها وقوتها وسمعتها المستمدة من سمعة مليكها ، وقد شاءت إرادته الكريمة أن يفوض لقوته التشريعية إنشاء مجلسين نيابيين يظلان قائمين ما شاء هو لهما أن يقوما — مجلس الأشراف ، ومجلس النواب ، غير أنه هو الذى يعين وزراء الدولة ، الذين يسألون أمامه وحده لا أمام مجلس البرلمان ، وكان تحت هؤلاء طبقة من الناخبين عددها يقرب من أربعمائة وستين ألفاً حصروا فى هذه الدائرة الضيقة باشتراط مؤهلات كثيرة فى الناخب من حيث مقدار ما يملكه ؛ ثم ارتفع عدد الناخبين بفعل حركات تحريرية متعاقبة حتى بلغ ثلاثة عشر مليوناً فى سنة ١٩٢٨ ، ولكن فساد الحكومة كان يساير التوسع فى الديمقراطية خطوة خطوة(٦) .

وساير هذا التقدم السياسىّ نظام تشريعى جديد (١٨٨١) قائم إلى حد كبير على تشريع نابليون ، وهو يحقق خطوة تقدمية جريئة بالنسبة لتشريع العصور الوسطى التى ساد فيها نظام الإقطاع ؛ فمنحت للناس حقوقهم المدنية منحاً سخياً — إذ منحت لهم حرية الكلام وحرية الصحافة وحرية الاجتماع

وحرية العبادة وعدم انتهاك الرسائل والبيوت ، والحصانة من القبض والعقاب إلا بإجراء قانونى(*) ، وحرم التعذيب والمحنة وفكت عن جماعة الـ « إيتا » قيودهم الطبقية ، وسُوِّى بين الطبقات كلها أمام القانون من الوجهة النظرية ، وأصلحت السجون ، ودفعت الأجور للمسجونين على عملهم ، حتى إذا ما أطلق سراح المسجون أعطى مبلغاً من المال متواضعاً يبدأ به حياة جديدة فى زراعة أو تجارة ؛ وعلى رغم ما أتاحه هذا التشريع للناس من حرية ، فقد ظلت الجرائم قليلة الحدوث(١) .

ولو اعتبرنا رضى الناس بالقانون عن طواعية علامة على مدنيتهم ، عَدَدْنا اليابان فى طليعة الأمم الحديثة حضارة (إذا استثنينا عدداً قليلا من حوادث الاغتيال) .

ولعل أهم ما يميز الدستور الجديد هو إعفاء الجيش والأسطول من كل رئاسة إلا رئاسة الإمبراطور ، فإن اليابان لم تنس قط ما وقع لها من ذل فى عام ١٨٥٣ ، ولذا صممت على إنشاء قوة عسكرية تمكنها من السيطرة على تقرير مصيرها بنفسها ، وتجعلها فى النهاية سيدة الشرق كله ، فلم يكفها أن تعمم التجنيد ، بل جعلت من كل مدرسة فى البلاد معسكراً للتدريب الحربى ، وثدياً يُرضع النشء بلبان الحماسة الوطنية ، وكان لهؤلاء الناس استعداد عجيب للنظام والطاعة ، سرعان ما انتهى بقوتهم العسكرية إلى درجة أتاحت لليابان أن تخاطب « الأجانب الهمج » مخاطبة الند للند ، كما أتاحت لها احتمال ابتلاعها للصين جزءاً جزءاً ، وهو أمل طاف برأس أوربا ، لكنه لم يتحقق لها ، وحدث عام ١٨٩٤ أن أرسلت الصين حملة عسكرية لإخماد ثورة فى كوريا ، وأن لبثت نعيد وتكرر القول بأن كوريا دولة تابعة لسلطة الصين ، فلم يعجب اليابان هذا كله ، وأعلنت الحرب على معلمتها القديمة ، وأدهشت العالم بسرعة

(*) أدت حمى الحرب التى اقتضتها مغامرة منشوريا إلى التضييق من هذه الحقوق تضييقاً شديداً .

نتصارها إذ أرغمت الصين إرغاماً على الاعتراف باستقلال كوريا ، وعلى لتنازل لها عن « فرموزا » و « بورت آرثر » (على رأس شبه جزيرة لياوتنج) وعلى دفع تعويض مالى قدره مائتا مليون من التيلات ، وقد أيدت ألمانيا وفرنسا الروسيا فى « نصحها » لليابان بالانسحاب من « بورت آرثر » مقابل زيادة فى تعويضها المالى قدرها ثلاثون مليوناً من التيلات (والزيادة تدفعها الصين) وخضعت اليابان لما طلب إليها ، لكنها احتفظت بذكرى هذه المعاكسة على مضض ، وراحت ترقب فرصة الانتقام .

ومنذ تلك الساعة أخذت اليابان تعد نفسها إعداداً جادا لا يعرف اللهو ، تعد نفسها للصراع مع الروسيا صراعاً كان لا بد من وقوعه نتيجة اتساع الإمبراطوريتين فى آمالها الاستعمارية ، ونجحت اليابان فى إثارة مخاوف إنجلترا من احتمال التوغل الروسى فى الهند فأبرمت مع سيدة البحار تحالفاً (١٩٠٢ — ١٩٢٢) ، تعهدت به كل من الدولتين أن تساعد الأخرى إذا ما اشتبكت فى قتال مع دولة ثالثة ودخلت دولة أخرى فى القتال ، وقلما وقع السلسة الإنجليز على ما يقيد حريتهم كل هذا التقييد الذى فرضته عليهم تلك المعاهدة ، فلما بدأت الحرب مع الروسيا سنة ١٩٠٤ أقرض الممولون الإنجليز والأمريكان أموالا طائلة لليابان ، لتعينها على كسب النصر من القيصر[٨] ، واستولى « نوجى » على « بورت آرثر » وزحف بجيشه نحو الشمال قبل فوات الفرصة لإخماد مذبحة « مكدن » — وهى أفظع ما شهد التاريخ من مواقع دامية ، قبل أن يشهد حربنا العالمية (الأولى) التى لا يضارعها مضارع ، والظاهر أن ألمانيا وفرنسا فكرتا فى مساعدة الروسيا بالسياسة أو بالسلاح ، لكن الرئيس روزفلت صرح عندئذ بأنه إذا حدث شىء كهذا ، فلن يتردد فى الوقوف إلى جانب اليابان[٩] ، وفى ذلك الوقت ، أقلع أسطول روسى قوامه تسع وعشرون سفينة ، وشق طريقه جريئاً حول رأس الرجاء الصالح ، مرتحلا

بذلك رحلة لم يسبق لأسطول حديث أن ارتحل مثلها طولا ، وذلك لكى يقابل اليابان فى مياهها وجهاً لوجه ، غير أن الأميرال « توجو » استعان لأول مرة فى تاريخ الأساطيل البحرية باللاسلكى ، وظل على علم متصل بسير الأسطول الروسى ، ثم وثب عليه وثبة قوية فى مضيق تسوشيما فى السابع والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٠٥ وأبرق « توجو » لقادته جميعاً رسالة تصور نفسية اليابان كلها . إذ قال : « إن نهوض الإمبراطورية أو سقوطها يتوقف على هذه المعركة »(١٠) فقتل من اليابانيين فيها ١١٦ ، وجرح منهم ٥٣٨ ، وأما الروس فقتل منهم أربعة آلاف ، وأسر سبعة آلاف ، وأغرقت أو أسرت كل سفنهم إلا ثلاثاً .

كانت « موقعة بحر اليابان » نقطة تحول فى مجرى التاريخ الحديث ، فهى لم تقتصر على إيقاف التوسع الروسى فى الأراضى الصينية ، بل أوقفت كذلك سيطرة أوربا على الشرق ، وبدأت ذلك البعث الذى اشتمل آسيا ، والذى يبشر بأن يكون محور الحركات السياسية كلها فى هذا القرن الحاضر ، ذلك أن آسيا كلها قد دبت فيها الحماسة حين رأت الإمبراطورية الجزرية الصغيرة تهزم أكثر دول أوربا عمراناً بأهلها ، فدبرت الصين خطة لثورتها ، وبدأت تحلم بحريتها ، أما اليابان ، فلم يطُف ببالها أن توسع من نطاق الحرية ، بل فكرت فى الزيادة من سلطانها ، فانتزعت من الروسيا اعترافاً بأن لليابان المكانة العليا فى كوريا ، ثم ما جاءت سنة ١٩١٠ حتى أعلنت اليابان نهائياً ضم كوريا إليها رسمياً ، وهى تلك المملكة القديمة التى بلغت من المدنية يوماً شأوا عظيما ، فلما مات الإمبراطور « ميجى » عام ١٩١٢ ، بعد حياة طويلة طيبة أنفقها حاكما وفناناً وشاعراً استطاع أن يحمل معه إلى الآلهة الذين أنسلوا اليابان رسالة بأن الأمة التى خلقوها ، والتى كانت فى بداية حكمه لعبة فى يد الغرب الفاجر ، قد باتت اليوم رفيعة المكانة فى الشرق ، وقطعت شوطاً بعيداً فى طريقها نحو أن تكون محوراً للتاريخ كله .

الفصل الثانى

الانقلاب الصناعى

حركة التصنيع — المصانع — الأجور — الإضرابات — الفقر — وجهة نظر اليابان

لم تلبث اليابان نصف قرن إلا وقد غيرت كل وجه من أوجه حياتها ، فتحرر الفلاح رغم فقره ، وأصبح فى مستطاعه أن يملك جزءا متواضعاً من الأرض يدفعه ضريبة سنوية أو أجراً سنوياً للدولة ، ولم يكن من حق أحد من سادة الإقطاع أن يقف فى سبيله لو أراد أن يترك الزراعة ليلتمس وسيلة رزقه فى المدن ، ذلك لأن مدناً عظمى قامت عندئذ على طول الساحل ، منها « طوكيو » (التى معناها العاصمة الشرقية) بقصورها الملكية والارستقراطية وحدائقها الفسيحة وحماماتها المزدحمة وعدد سكانها الذى لم يفقها فيه إلا لندن ونيويورك ، ومنها « أوساكا » التى كانت فى سابق عهدها قرية للسمّاكة وحصناً ، فأصبحت اليوم جباً مظلماً من الأكواخ الحقيرة والمصانع وناطحات السحاب ، وهى مركز الصناعات فى اليابان ، ومنها « يوكوهاما » و « كوبى » اللتين ترسلان من مرفأيهما الهائلين المعدين بكل ضروب الآلات الحديثة ، تلك الصناعات إلى مئات الموانى ، محملة على ثانى أسطول تجارى فى العالم(*) .

واستعانت البلاد فى وثبتها من نظام الإقطاع إلى النظام الرأسمالى باستخدامها لكل وسيلة ممكنة استخداماً لم يسبق له نظير ، فاستدعت الخبراء الأجانب اللذين وجدوا من مساعديهم اليابانيين طاعة المتحرق لمعرفة إرشاداتهم ؛ ولم

(*) يدل الإحصاء الرسمى الأخير على أن سكان يوكوهاما سبعمائة وعشرون ألفاً ، وسكان كوبى سبعمائة وسبعة وثمانون ألفاً ، وأوساكا ٢،١١٤،٨٠٤ ، وطوكيو العظمى ٣١١،٠٠٠ .

تمض خمسة عشر عاماً ، حتى تقدم المتعلمون الأذكياء فيما تعلموه تقدماً أتاح لليابان أن تدفع للإخصائيين الأجانب آخر أجورهم وأن ترسلهم إلى أوطانهم بكل إجلال ، واقتفت اليابان أثر ألمانيا ، فاستولت الحكومة على البريد والسكك الحديدية والتلغراف والتليفون ؛ لكنها في الوقت نفسه عرضت قروضاً سخية لمن يريد أن ينهض لنفسه بصناعة ما ، وجعلت تحمى تلك الصناعات الخاصة بالضرائب الجمركية العالية ، من منافسة المصانع الأجنبية فى سائر الأقطار ؛ واستعانت البلاد بالتعويض المالى الذى أخذته من الصين بعد حرب سنة ١٨٩٤ على تمويل حركة التصنيع فى اليابان وتشجيع الصناعات على نحو ما استعانت ألمانيا بالتعويض الفرنسى سنة ١٨٧١ على استحثاث حركة التصنيع فى أرضها ؛ وشبهت اليابان ألمانيا قبل ذلك بجيل واحد ، فى قدرتها على البدء بآلات حديثة مقرونة بطاعة من العمال كالتى سادت فى عصور الإقطاع ، على حين كانت الدول الأخرى المنافسة لها ، تعانى من آلات قديمة وعمال ثائرين ، وكانت مصادر القوة فى اليابان رخيصة والأجور قليلة ، كما كان العمال يخضعون لرؤسائهم خضوع الولاء ؛ لهذا تأخرت عندهم قوانين تنظيم المصانع ، وفرضت على العمال فرضاً لا عنف فيه[١٠] وفى سنة ١٩٣٣ كنت ترى مغازل « أوساكا » الجديدة لا تحتاج إلى أكثر من فتاة واحدة لكل خمس وعشرين آلة ، بينما كانت مغازل لانكشير القديمة تتطلب رجلا لكل ست آلات[١٣] .

وتضاعف عدد المصانع ما بين ١٩٠٨ و ١٩١٨ ؛ ثم تضاعف مرة أخرى بين ١٩١٨ و ١٩٢٤ ، حتى إذا ما كانت ١٩٣١ زادت المصانع نصف عددها[١٤] بينما كانت الصناعة فى الغرب عندئذ تخوض أغوار أزمة عميقة ؛ وفى سنة ١٩٣٢ كانت لليابان الصدارة الأولى فى تصدير المنسوجات بحيث أرسلت بليونى ياردة من الخمسة بلايين ونصف البليون من ياردات المنسوجات القطنية التى استهلكها العالم فى ذلك العام[١٥] ؛ وفى سنة ١٩٢١

تنازلت عن معيار الذهب ، وسمحت لعملتها الـ « ين » أن تهبط إلى أربعين فى المائة من قيمتها السابقة فى التجارة الدولية ، وبذلك استطاعت أن ترفع مبيعاتها فى الخارج خمسين فى المائة عما كانت بين عامى ١٩٣٢ و ١٩٣٣[١٦] ؛ وازدهرت التجارة الداخلية كما ازدهرت التجارة الخارجية ، وأتيح لأسرات تجارية كبرى ، مثل أسرتى « متسوى » و « متسوبيشى » أن تكدسا ثروة طائلة جعلت رجال الجيش يتحالفون مع طبقات العمال فى حركة ترمى إلى جعل الحكومة تتولى بنفسها ، أو تفرض رقابتها على الصناعة والتجارة(*) .

وبينما كان التقدم التجارى يخلق طبقة وسطى جديدة من الأغنياء ، كان العمال الذين ينتجون بأيديهم يتحملون عبء الأثمان المنخفضة التى جعلتها اليابان أداة تهزم بها منافساتها فى الأسواق العالمية ؛ فكان متوسط أجر العامل سنة ١٩٣١—١٧ر١ من الريال كل يوم ، ومتوسط أجر العاملة ٤٨ سنتاً فى اليوم وكان واحد وخمسون فى كل مائة من العمال نساء ، كما كان اثنتا عشر فى كل مائة ممن تقل سنهم عن ستة عشر عاما[١٩](**) وكانت الإضرابات كثيرة الوقوع

(*) لم ترق حركة النقل على اليابس بمثل ما ارتقت الحركة البحرية لأن السلسلة الفقرية الجبلية التى تمتد على طول البلاد ، جعلت التجارة تؤثر البحر ؛ لهذا ظلت الطرق رديئة بالقياس إلى الطرق فى الغرب ، ولم تبدأ السيارات تتهدد اليابان إلا منذ أمد قريب ؛ ومن الملاحظ الآن أن العربات التى يجرها الإنسان ، والتى جرى العرف على إرجاع تاريخها إلى ابتكار مبشر أمريكى فى أوائل العقد الثامن من القرن الماضى[١٧] قد أخذت فى الزوال اليوم أمام السيارات الأمريكية واليابانية ، ورصفت طرق طولها مائتا ألف ميل ؛ وفى طوكيو طريق مشقوق تحت الأرض يمكن مقارنته بنظائره فى أوربا وأمريكا مقارنة ترجح كفته على تلك النظراء ؛ ومدت أول سكة حديدية فى اليابان سنة ١٨٧٢ على مسافة بلغ طولها ثمانية عشر ميلا ، فلما كان عام ١٩٣٢ بلغت السكة الحديد فى تلك الجزر النضيقة ١٣٧٣٤ من الأميال ؛ ويقطع القطار السريع الجديد المسافة بين مدينة « دايرين » (بالقرب من بورت آرثر ، وبين « هسنكنج » (وكانت تسمى شانجشون) عاصمة منشوريا ، وهى مسافة تبلغ سبعمائة كيلو متر ، وبواقع مائة وعشرين كيلو مترا فى الساعة (أى نحو خمسة وسبعين ميلا[١٨] .

(**) يرجع انخفاض أجور النساء إلى عوامل ، من بينها القلقلة ذات التكاليف الباهظة التى تسببها العاملات اللائى جرين على ترك الصناعة إذا ما توفر لديهن مهر الزواج .

والشيوعية تزداد اتساعاً ، حتى هبت على البلاد روح الحرب سنة ١٩٣١ ؛ فنفخت فى الناس وطنية دعتهم إلى التعاون والتماسك ؛ وحرم القانون « الآراء الخطيرة » وفرضت قيود شديدة على نقابات العمال التى لم تبلغ قط مبلغ القوة فى اليابان(٢٠) واتسعت رقعة المساكن الفقيرة فى أوساكاوكوبى وطوكيو ، فقد كانت الأسرة ذات الخمسة الأعضاء فى طوكيو تسكن من تلك المنازل الفقيرة غرفة تبلغ فى المتوسط من ثمانى أقدام إلى عشرة أقدام مربعة — وهى مساحة لاتزيد إلا قليلا عن المساحة التى يشغلها سرير لشخصين ؛ وكان يسكن فى أمثال هذه المساكن فى مدينة كوبى عشرون ألفاً من المتسولين والمجرمين والشائهين والبغايا ؛ كانوا يسكنون فى قذارة بلغت حداً جعل الوباء يتفشى فيهم مرة كل عام ؛ وزادت نسبة الوفيات فى الأطفال أربعة أمثال ما كانت عليه فى بقية اليابان(٢١) ونهض شيوعيون مثل « كاتاياما » واشتراكيون مسيحيون مثل « كاجاوا » يقاومون بالعنف أو باللين تلك الحالة السيئة حتى استيقظت الحكومة آخر الأمر ، وقامت بحركة تطهيرية لتلك المساكن الفقيرة ، لم يشهد التاريخ أعظم منها .

وقد كتب « لافكاديو هيرن » منذ جيل ، يعبر عن رأيه الناقم على النظام الحديث فى اليابان ، فقال :

« إن التاريخ لم يشهد قط فيما مضى أمثال هذه الألوان من البؤس التى تجد مجالها فى ظل النظام الجديد ؛ وتستطيع أن تكوّن لنفسك صورة تقريبية عن هذا البؤس ، إذا عرفت أن عدد الفقراء فى طوكيو الذين يعجزون عن دفع ضريبة المسكن ، يربو على خمسين ألفاً ، ومع ذلك فهذه الضريبة لا تزيد قيمتها على عشرين « سنًا » وهو ما يقابل عشرين « سنتاً » بالعملة الأمريكية ولم يكن فى أى جزء من أجزاء اليابان مثل هذا العوز قبل أن تتراكم الثروة فى أيدى نفر قليل — إلا إذا استثنينا بالطبع الأعقاب المؤقتة التى تلحق عهود الحرب(٢٢) .

ولا شك أن « تراكم الثروة فى أيدى نفر قليل » عامّ فى العالم كله ، والظاهر

أنه عامل مصاحب للمدنية لا يتخلف ؛ ويقول المموالون اليابانيون ، إن أجور العمال هناك ليست أقل مما ينبغى إذا روعى عدم كفايتهم فى العمل نسبياً ، وإذا روعى إلى جانب ذلك رخص العيش فى اليابان[٢٣] ، والرأى فى اليابان هو أن الأجور المنخفضة شرط لازم لانخفاض الأسعار ، وانخفاض الأسعار شرط لازم للسيطرة على الأسواق الخارجية ، والأسواق الخارجية شرط لازم لصناعة تعتمد على حديد وفحم يستوردان من الخارج ؛ والصناعة شرط لازم لسد حاجات شعب يتزايد عـــدده فى جزء لا تصلح الزراعة إلا فى اثنى عشر فى كل مائة جزء من أجزاء أرضها ، وهى كذلك ضرورية لاكتساب الثروة وإعداد السلاح اللذين بغيرهما لا تستطيع اليابان أن تحمى نفسها ضد عدوان الغرب .

الفصل الثالث

الانقلاب الثقافى

التغيير فى الشباب — وفى آداب السلوك — الخلق اليابانى — الأخلاق والزواج فى مرحلة انتقال — الدين — العلم — الطب فى اليابان — الفن والذوق — اللغة والتعليم — القصص الطبيعى — صورة جديدة من الشعر

إنا لنسأل هل تغير الشعب نفسه نتيجة للانقلاب الصناعى ؟ إن العين لتلمح بعض ألوان التجديد ؛ فالبدلة الأوروبية المقبضة ذات الشعبتين ، قد سيطرت على معظم سكان المدن ولَفَّتْ أبدانهم ، غير أن النساء مازلن يرتدين ثياباً فضفاضة زاهية الألوان ، يربطها عند الوسط شريط مزخرف يلتئم طرفاه بعقدة عريضة عند الظهر(*) وكلما أصلحت الطرق حلت الأحذية محل القباقيب الخشبية ؛ غير أن نسبة كبيرة من الجنسين ما تزال تمشى بأقدام حافية سليمة من التشويه ؛ وإذا نظرت خلال المدن الكبرى ألفيت كل ضروب التشكيلات والتركيبات التى تجمع بين الثياب الوطنية والثياب الغربية ، كأنما أرادوا بذلك أن يرمزوا إلى تحول اسْتُعْجِلَت خطواته فابتُسر ابتساراً .

ولا تزال آداب المعاملة عندهم نموذجاً « للتشريفات » الدبلوماسية ، ولو أن الرجال ما برحوا عند عادتهم القديمة فى تقدمهم على النساء إذا مادخلوا غرفة أو خرجوا منها ، أو مشوا فى الطريق ، واللغة عندهم نسيج وحدها فى احتشامها فقلَّ أن يداخلها فحش فى اللفظ ، وتراهم يكسون بغطاء ظاهرى من التواضع احتراماً للنفس يبلغ حد التوحش ، وآداب السلوك قد تبلغ من رقتها حداً يلطف من حدة العداوة مهما بلغت من استيلائها على النفوس :

(*) النساء المشتغلات بالتعليم أو الصناعة يرتدين ثياباً مفصلة على الطراز الغربى ؛ على أن الرجال والنساء معاً يتجهون بعد ساعات العمل فى ثيابهم التقليدية .

والخلق الياباني — شأنه شأن الخلق الإنساني في كل بقاع الأرض — مؤلف من أشتات متناقضة لأن الحياة تضعنا في ظروف مختلفة كل حين ، وتتطلب منا أن نأخذها بالشدة حيناً والرقة حيناً ، وباليسر حيناً وبالصرامة حيناً ، وبالصبر حيناً والشجاعة حيناً ، وبالتواضع حيناً والكبرياء حيناً ، لهـذا لا ينبغي لنا أن نأخذ على أهل اليابان جمعهم بين العاطفية والواقعية ، وبين رقة الإحساس وصرامة الحد في الحياة ، وبين طلاقة التعبير والكتمان ، وبين سرعة التأثر وكبح الجماح ؛ إنهم يغلب عليهم المرح والفكاهة وحب المتعة ، ويميلون إلى الانتحار الذي يروع المتفرج بمنظره ، وهم رقاق القلب — نحو الحيوان غالباً ونحو المرأة أحياناً — لكنهم قساة في بعض الأحيان على الحيوان والرجال(*) ، وإن الياباني الصادق في يابانيته ليتصف بكل صفات الجندي المحارب — الاعتداء والشجاعة والاستعداد لملاقاة الموت استعداداً لا يضارعه فيه مضارع ؛ ومع ذلك كله تراه في كثير من الأحيان يحمل بين جنبيه روح الفنان — فهو مرهف الحس سهل التأثر رقيق نشيط محب للاطلاع والبحث ذو ولاء وصبر ، وله قابلية شديدة لاستيعاب التفصيلات ، وهو ذو دهاء وحيلة ككل ذي جسد ضئيل ، وذكاؤه وقاد ، تراه لا يبرع في الخلق الفكري ، لكنه قادر على الفهم السريع والاقتباس والمهارة العلمية ؛ ولقد اجتمعت في الياباني روح الرجل الفرنسي وغروره وشجاعة البريطاني وضيق أفقه ، وحرارة الإيطالي واستعداده للفنون ، ونشاط الأمريكي وميله للتجارة ، وحساسية اليهودي ودهاؤه :

ثم جاء اتصالهم بالغرب وصراعهم معه ، فغيروا حياة اليابان الاخلاقية

(*) حدث في الاضطراب الذي أعقب زلزال سنة ١٩٢٣ ، ان سكان يوكاهاما من اليابانيين — بينما كانت تمدهم سفن النجدة الأمريكية بالقوت — استغلوا الشعب وذبحوا مئات (وقيل آلافاً) من دعاة التغيير ومن الكوريين العزل في الطرقات(٤٢) والظاهر أن وطنياً متحمساً قد أثار اليابانيين باعلانه أن الكوريين (الذين كانوا عدداً ضئيلا) يدبرون قلب الحكومة وقتل الإمبراطور .

وطرائق السلوك فيها ، غير أن أمانتهم التقليدية(*) لاتزال قائمة بينهم إلى حد كبير ، وإن يكن التوسع فى حقوق الانتخاب وحدّة التنافس التى تلازم التجارة الحديثة ، قد أدخلا فى اليابان نصيبها النسبى من الرشوة التى هى من خصائص الحكم الديمقراطى ، والقسوة التى تتصف بها الحياة الصناعية ، وخفة اليد فى عالَم المال ؛ نعم إن «خُلُق الفرسان» (ويسمونه بوشيدو) لا يزال باقياً هنا وهناك بين طبقات الجنود العليا ، ولذا فهو بمثابة الضابط الارستقراطى الخفيف للجموح الشيطانى الذى استولى على عالمى التجارة والسياسة ؛ والاغتيال كثير الوقوع على الرغم مما تتصف به عامة الناس من طاعة القانون والصبر على أحكامه — والاغتيال هناك لايقع خلاصاً من استبدادية رجعية ، بل يقع عادة لتشجيع روح الوطنية التى لاتبالى الاعتداء ؛ من ذلك أن « جمعية الأفعوان الأسود » التى يرأسها « توياما » الذى يبدو فى مظهر المنبوذ ، قد كرست نفسها أكثر من أربعين عاماً لبث سياسة غزو كوريا ومنشوريا بين أصحاب المناصب الحكومية فى اليابان(**) وقد اتخذت الاغتيال أداة للوصول إلى هذا الغرض ، ومنها اكتسب الاغتيال مهمة شعبية ظل يقوم بها فى تحريك العالم السياسى فى اليابان(٢٦) .

لقد شارك الشرق الأقصى بلاد الغرب فى الاضطراب الخلقى الذى يصحب كل تغير عميق يتناول الأساس الاقتصادى للحياة ؛ وازدادت الحرب التى ما فتئت قائمة بين الأجيال المتعاقبة ، بين الشباب الطافح بحماسته ، وبين الشيوخ

(*) يقول لافكاديو هيرن : (لقد عشت فى أقاليم لم تعرف السرقة مدى مئات من السنين — حيث ظلت السجون التى ابتناها « ميجى » حديثاً ، خالية لا نفع فيها »(٢٥) .

(**) « الأفعوان الأسود » هوالاسم الذى تطلقه الصين على نهر أمور الذى يفصل منشوريا عن سيبريا ، واليابانيون ينظرون إلى الاغتيال نظرتهم إلى نوع من العقاب الشريف الذى يحل عندهم محل النفى .

المفرطين فى حرصهم ، ازدادت تلك الحرب حدة نتيجة لنمو الصناعة التى تعمل على إبراز شخصية الفرد ، ونتيجة لإضعاف الإيمان الدينى ؛ فالانتقال من الريف إلى المدينة ، وإحلال الفرد محل الأسرة باعتباره الوحدة القضائية المسئولة ، للمجتمع الاقتصادى والسياسى ، قد قوض أركان السلطة الأبوية ، وأخضع عادات القرون الطويلة وأخلاقها للحكم المتسرع الذى يحكم به المراهق على أمثال هذه الأمور ؛ وكنت ترى الشباب فى المدن الكبرى يثورون على نظام الزواج تحت إشراف الأبوين ، وترى العروسين لا يجريان على مألوف العادات من حيث السكنى فى بيت والد العريس ، بل هما أميل إلى إنشاء بيت مستقل أو « شقة » مستقلة ؛ هذا إلى أن سرعة تصنيع النساء قد حتم انحلال الروابط التى كانت تربطهن بالدار واعتمادهن فى العيش على الرجال ؛ والطلاق فى اليابان قد كثر حتى شابه الحال فى أمريكا ، بل هو هناك أخف عاقبة منه فى أمريكا ، لأن الرجل قد يستطيع الطلاق بمجرد توقيعه على دفتر للتسجيل ، ودفعه رسوماً تبلغ ما يساوى عشر « سنتات »[٢٧] ولئن حرم القانون نظام الخليلات ، إلا أنه لا يزال قائماً فعلا يتمتع به كل من تمكنه حالته المالية من تجاهل القانون[٢٨] .

والآلة هى عدو رجل الدين فى اليابان كما هى فى سائر أنحاء العالم ، ولما استوردت اليابان من انجلترا أوضاعها الصناعية الفنية ، استوردت معها « سبنسر » و « ستيورت مِلْ » ، وبهذا أسدل الستار فجأة على سيادة المذهب الكنفوشيوسى فى الفلسفة اليابانية ، ولقد قال تشمبرلين سنة ١٩٠٥ : « إن الجيل الموجود الآن فى المدارس يتشكل على صورة فولتيرية واضحة المعالم »[٢٩] ومن نتيجة هذا الاتجاه نفسه أن ازدهر العلم بارتباطه الحديث بالآلة ، واكتسب فى اليابان قلوب أعظم الباحثين فى عصرنا هذا ، بحيث انصرفوا إليه مخلصين

على نحو ما نعهده فى اليابانيين من الولاء فيما يخلصون له(*) ؛ فالطب فى اليابان — على الرغم من اعتماده فى معظم مراحله على الصين وكوريا — قد تقدم تقدماً سريعاً حين احتذى مثـل الأوروبيين واندفع بحافزهم ، وخصوصاً الألمان ؛ وإذا أردت أن تعلم مدى السرعة التى انتقلت بها اليابان من مرحلة التلمذ إلى مرحلة الأستاذية التى أخذت تعلم فيها العالم أجمع ، فانظر إلى ما عمله « تاكامين » فى استكشافه للأدرنالين وفى دراسته للفيتامينات ؛ وما أداه « كيتاساتو » فى مرض التتنوس وفقر الدم ، وفى تقدم التلقيح ضد الدفتريا ثم ما عمله ألمعهم جميعاً وأشهرهم جميعاً ، وهو « نجوشى » فى مرض الزهرى ومرض الحمى الصفراء .

ولد « هيديونجوشى » سنة ١٨٧٦ فى إحدى الجزر الصغرى ، من أسرة بلغ بها الفقر حداً جعل أباه يترك أسرته حين علم أن طفلا ثانياً فى طريقه إلى الحياة ؛ وأهمل الوليد هذا إهمالا جعله يسقط فى مدفأة فاحترقت يده اليسرى حتى شاهت ، وأوذيت يده اليمنى إيذاء كاد يفقد نفعها فكان أن اجتنبه التلاميذ فى المدرسة لما فى جسده من وصمات وتشويه ، وراح الناشئ يفكر فى الانتحار ، لكن جراحاً قدم إلى القرية حينئذ ، وعالج له يده اليمنى علاجاً ناجحاً ، واعترف «نجوشى» للجراح بالجميل اعترافاً جعله يقرر لتوه أن يكرس نفسه للطب ؛ ومن أقواله عن نفسه « سأكون نابليون ينقذ البشرية لا نابليون يفتك بها » « إننى أستطيع الآن أن أعيش معتمداً على نعاس أربع ساعات فى الليل »(٣٠) وكان « نجوشى » مفلساً . فاشتغل فى صيدلية حتى حمل صاحبها

(*) كان العلم فى اليابان قبل ١٨٥٣ مستورداً معظمه من نتاج الوطن الأصلى نفسه فالتقويم اليابانى الذى كان فيما سبق معتمداً على أوجه القمر ، قد أعيد حسابه بحيث يساير السنة الشمسية ، على يدى كاهن كورى حوالى سنة ٦٠٤ ميلادية ، ثم أدخلت تعديلات من الصين سنة ٦٠٨ ميلادية ؛ واصطنعت اليابان — ولا تزال — طريقة أهل الصين فى حساب الحوادث بردها إلى اسم الإمبراطور الذى وقعت فى أيامه ، وسنة توليه الحكم ؛ وفى سنة ١٨٧٣ أخذت اليابان بالتقويم الجريجورى .

على رصد مبلغ من المال يتعلم به الطب ؛ وبعد أن تخرج فى الطب من الجامعة . ذهب إلى الولايات المتحدة وعرض خدماته على الهيئة الطبية فى الجيش فى وشنطن مقابل نفقاته ؛ وهيأت له مؤسسة روكفلر للأبحاث الطبية معملا ، وشرع « نجوشى » يعمل وحده لا يشاركه أحد على الإطلاق فى إجراء التجارب والقيام بالبحث العلمى مما انتهى إلى أطيب الثمرات ؛ فهو الذى أنتج أول عينة خالصة من جراثيم الزهرى ، وكشف عن أثر الزهرى فى الشلل العام وفى الشلل البطىء الذى يصيب حركة العضلات ، وأخيراً استطاع فى سنة ١٩١٨ أن يعزل طفيلىّ الحمى الصفراء ؛ فلما كسب الشهرة والثروة المؤقته ، عاد إلى اليابان ، وكرّم أمه العجوز ، وجثا على ركبتيه أمام الصيدلى الذى أنفق على دراسته الطبيعية اعترافاً له بالجميل ، ثم ذهب إلى أفريقيا ليدرس الحمى الصفراء التى كانت تفتك بساحل الذهب من أوله إلى آخره ، فأصابته هذه الحمى ومات سنة ١٩٢٨ ، ومما يزيدنا حسرة على موته أنه لم يكن قد بلغ من العمر أكثر من اثنين وخمسين عاماً .

كان التقدم العلمى فى اليابان — كما كان كذلك فى الغرب — مصحوباً بانحلال فى الفنون التقليدية ؛ فتقويض الطبقة الأرستقراطية القديمة قد قوض عشاً كان يترعرع فيه حسن الذوق ، وراحت الأجيال بعدئذ تتخذ لنفسها ما شاء لها هواها من معايير الجمال ، بحيث يستقل كل جيل فى معياره الذوقى عما سلفه ؛ وتدفقت الأموال من البلاد الخارجية سعياً وراء المنتجات الوطنية ، فأدى ذلك إلى الإنتاج السريع الذى يعنى بالكم وحده ، وانحطت مستويات الرسوم اليابانية تبعاً لذلك ، فلما عاد الشارون إلى طلب المصنوعات القديمة ، انقلب الصناع جماعة من المزورين ، وأصبحت صناعة الآثار القديمة فى اليابان — كما هى الحال فى الصين — أروج الصناعات فى الفنون الحديثة ؛ ولعل جانب الصناعة الخزفية المعروف باسم cloisouné أن يكون الفرع الوحيد من فروع تلك الصناعة ، الذى تقدم فى اليابان منذ قدوم الغرب إلى

البلاد ؛ فالانتقال المضطرب من الصناعة اليدوية إلى الصناعة الآلية ، وهجمة الأذواق والأساليب الأجنبية على أهل البلاد متسترة برداء من الظفر والثروة ، قد أدى إلى زعزعة الحس الجمالى عند اليابانيين وإضعاف ذوقهم بحيث لم يعد على ما كان عليه من ثبات ؛ وهاهى ذى اليابان قد اختارت السيف اتجاهاً ، فعلها قد كُتب لها أن تعيد تاريخ الرومان — بأن تقلد فى الفن ، وتسود فى الإدارة والحرب(*) .

لقد لبثت الحياة العقلية فى الإمبراطورية الحديثة جيلا اتجهت خلاله نحو ممالأة الأساليب الغربية ، فتكاثرت الكلمات الأوروبية فى لغة القوم ، ونظمت الصحف على الطريقة ، وأنشئت مجموعة من المدارس العامة على غرار المدارس النموذجية الأمريكية ؛ إذ صممت اليابان تصميم الأبطال على أن تجعل من نفسها أمة تكون أسبق أمم الأرض جميعاً فى إزالة الأمية ، وقد نجحت فيما أرادت ، فقى سنة ١٩٢٥ كان يختلف إلى المدارس من أبناء البلاد ٩٩ر٤ فى المائة(٣١) وفى سنة ١٩٢٧ كان فى مستطاع ٩٣ فى كل مائة من أهل البلاد جميعاً أن يقرأوا(٣٢) ؛ فقد أقبل الطلاب على الحركة العرفانية العلمانية الجديدة إقبالا فيه حرارة الإيمان الدينى ، حتى لقد أفسد مئات منهم صحة أبدانهم بسبب حماستهم فى كسب المعرفة(٣٣) واضطرت الحكومة اضطراراً أن تتخذ الوسائل الفعالة لتشجيع الرياضة البدنية والألعاب بكافة صنوفها ، القومى منها والمستعار من البلاد الخارجية ؛ وخرج التعليم من كنفه الدينى واصطبغ بصبغة علمانية أكثر مما اصطبغ به التعليم فى معظم الأقطار الأوربية ؛ وأعينت خمس جامعات إمبراطورية ، وقامت إحدى وأربعون جامعة أخرى — قد تقل فى نزعتها الإمبراطورية عن تلك الخمس — وضمت بين جدرانها آلاف الطلاب المتحمسين ؛ وفى سنة ١٩٣١ كانت الجامعة الإمبراطورية فى طوكيو تشتمل على ٨٠٦٤ طالباً ، وجامعة كيوتو تشتمل على ٥٥٥٢ طالباً (٣٤) .

(*) أحنت اليابان اليوم حمى الوطنية ؛ فأدت بها إلى إحياء الحوافز والأساليب القومية .

وأما الأدب اليابانى فى الربع الأخير من القرن (التاسع عشر) فقد أفنى نفسه فى سلسلة من ألوان المحاكاة ؛ وتوالت على الطبقة المثقفة موجات الحرية الإنجليزية والواقعية الروسية والفردية النيتشية والبراجماسية الأمريكية ، فاكتسحتها واحدة بعد واحدة ، حتى عادت روح الوطنية فأكدت نفسها ، وبدأ الكتاب اليابانيون يكشفون عن مادتهم القومية فيعبرون عنها بأساليبهم القومية ؛ وقد ظهرت فتاة شابة تدعى « إيشى يو » فافتتحت حركة فى كتابة القصة تنحو منحى المذهب الطبيعى قبل موتها سنة ١٨٩٦ وهى فى عامها الرابع والعشرين ، وذلك بتقديمها صورة ناصعة عن تعاسة النساء وذهن فى اليابان(٣٥) ، وفى سنة ١٩٠٦ دفع الشاعر « توسون » هذه الحركة إلى أوجها بقصة طويلة عنوانها « هاكاى » أى عدم الوفاء بالعهد ، قص فيها بنثر شعرى قصة معلم وعد أباه ألا يفضح عن نفسه حقيقتها وهى أنه من طبقة « إتيا » أى الطبقة التى انحدرت من أسلاف عبيد ، وبهذا أتيح له بما كان له من قدرة وما ظفر به من تعليم أن يحتل مكانة عالية ، فأحب فتاة مهذبة من ذوات المكانة الاجتماعية ؛ وبعدئذ فار فورة صدق اعترف فيها بأصله ، وتنازل عن حبيبته ومكانته ، وغادر اليابان لغير عودة ، فكانت هذه القصة عاملا قوياً فى تحريك النفوس تحريكاً انتهى آخر الأمر بإسدال الستار على العوائق التى لبثت طوال التاريخ مفروضة على طبقة « إيتا » .

وكانت صورتا الشعر الموجز المعروفتان باسم « تانكا » و « بوكا » آخر صور الثقافة اليابانية استسلاماً للمؤثرات الغربية ، إذ لبثتا أربعين عاماً بعد عودة الإمبراطور إلى عرشه الفعلى ، هما الصورتين المنشودتين لقرض الشعر اليابانى ، وفنى الروح الشعرى فى آيات معجزات من البراعة والصناعة ، حتى كان عام ١٨٩٧ ؛ ظهر معلم شاب ، هو « توسون » فى « سندای » وباع لأحد الناشرين ديواناً من الشعر بخمسة عشرة ريالا ، فجاء هذا الديوان بقصائده الطويلة ثورة تكاد تبلغ فى عنفها مبلغ أية ثورة أخرى مما زعزع نسيج الدولة ؛ وكان الشعب قد ملّ الأقوال القصيرة الرشيقة ، فأقبل على هذا

الديوان (ذى القصائد الطويلة) إقبال الشاكر ، وسبَّبَ بإقباله هـــذا ثراء للناشر ؛ وسار بعض الشعراء الآخرين فى إثر توسون ، وانتهى الأمر بصورتى الشعر الموجز الـ « تانكا » والـ « بوكا » أن أسلمتا زمام السيطرة بعد أن ظلتا ممسكتين به ألف عام[٣٦] .

وعلى الرغم من ظهور هذه الصور الشعرية الجديدة ، فقد ظلت « المباراة الإمبراطورية فى قرض الشعر » قائمة كما كانت ؛ فالإمبراطور يعلن فى كل عام موضوعاً ، ثم يسوق مثالا بنشـــيد يمليه فى ذلك الموضوع ؛ وتقتفى الإمبراطورة أثره ، وبعدئذ يرسل خمسة وعشرون ألف شاعر يابانى من كافة الأشكال والطبقات ، يرسل هؤلاء قصائدهم إلى « مكتب الشعر) فى القصر الإمبراطورى ؛ وتشكل لها هيئة تحكيم من أعلى أعلام البلاد ؛ حتى إذا ما انتهى التحكيم إلى القصائد العشر الأولى ، قرئت على الإمبراطور والإمبراطورة ، وطبعت فى الصحف اليابانية فى العدد الذى يصدر فى اليوم الأول من العام[٣٧] ، فياله من تقليد بديع خليق أن يدير النفس لحظة عن دنيا التجارة والحروب ، وهو يدل على أن الأدب اليابانى ما زال جزءاً حيوياً فى حياة أمة هى أكثر الأمم حيوية فى العالم المعاصر .

الفصل الرابع

الإمبراطورية الجديدة

الأسس المزعزعة للمدنية الجديدة — أسباب النزعة الاستعمارية اليابانية — الطلبات الواحدة والعشرون — مؤتمر وشنطن — قانون الهجرة الصادر سنة ١٩٢٤ — غزو منشوريا — المملكة الجديدة — اليابان والروسيا اليابان وأوربا — هل لا بد لأمريكا من محاربة اليابان ؟

لقد أقامت اليابان الحديدة بناءها على أسس مزعزعة على الرغم من نموها السريع فى الثراء والقوة ؛ فقد عدد سكانها من ثلاثة ملايين أيام (شوتوكو تايشى) حتى بلغ سبعة عشر مليوناً فى حكم (هيديوشى) ثم بلغ ثلاثين مليوناً فى عهد (يوشيمونى) وزاد على خمسة وخمسين مليوناً فى آخر عهد (ميچى) (١٩١٢)(*) .

وإذن فقد تضاعف السكان فى مدى قرن واحد ، وضاقت الجزر التى تكتنفها الجبال ، والتى تقل فيها الأراضى الصالحة للزراعة ، بملايينها المتزايدة ؛ فسكان تلك الجزر الذين يبلغون نصف سكان الولايات المتحدة ، لا يجدون مما يقيم حياتهم أكثر من جزء من عشرين جزءاً بالنسبة لثروة الولايات المتحدة(٣٨) وإذن فلا سبيل أمامها سوى المصانع ، ومع ذلك تراها فقيرة فقراً يبعث على الأسى ، فى مواد الوقود وفى المعادن التى لا غنى للصناعة عنها ، نعم إن القوة

(*) بلغ عدد سكان الإمبراطورية اليابانية سنة ١٩٣٤ ثمانين مليوناً (والإمبراطورية اليابانية تعنى اليابان وكوريا وفورموزا وبعض الممتلكات الصغيرة الأخرى) ولو نجحت اليابان فى استمالة سكان منشوريا إلى الحكم اليابانى فستتحكم فى دنيا الصناعة والحرب على مائة وعشرة من الملايين ؛ ولما كان سكان اليابان وحدها يزيدون بضعة مليون كل عام ، ثم لما كان سكان الولايات المتحدة يقربون مسرعين من حد الجمود لا زيادة بعده ، فربما جاء اليوم قريباً حيث تصطدم الدولتان بعدد من السكان قريب من التعادل .

الكهربائية المتولدة عن تدفق الماء كانت كافية فى المجارى التى تسيل من الجبال إلى البحر ، لكن استغلال هذا المصدر أكمل استغلال لا يضيف إلى القوة المستعملة بالفعل إلا مقدار ثلثها(٣٩) ولا يمكن الاعتماد عليها لسد حاجات المستقبل المتزايدة ؛ ووجدت طبقات من الفحم هنا وهناك ممتدة فى عروق تكاد تعز على متناول الإنسان ، وجدت فى جزر « كيوشو » و « هوكاديو » ، كما أمكن الحصول على البترول من « سخالين » ، أما الحديد — وهو من الصناعة لبها وصميمها — فيكاد لا يكون له أثر فى التربة اليابانية(٤٠) ؛ وبعد هذا كله ، فإن مستوى المعيشة المنخفض الذى فرض على سواد الناس فرضاً بحكم صعوبة الحصول على المواد والوقود وارتفاع تكاليفها ، جعل الاستهلاك يزداد تأخراً بالنسبة إلى تقدم الإنتاج ؛ فالمصانع التى كانت آلاتها تزداد حُسناً كل عام . راحت تصب فيضاً من السلع يزيد على حاجة أهل البلاد ولا يمكن شراؤه فيها ، ويصرخ صرخات عالية مطالباً لنفسه بأسواق فى الخارج .

من مثل هذه الظروف تنشأ الرغبة فى الاستعمار ، وأعنى بكلمة الاستعمار ذلك المجهود الذى يبذله النظام الاقتصادى فى بلد من البلاد — مستعيناً فى ذلك بالحكومة التى هى أداته فى تحقيق أغراضه — يبذله نحو بسط سيادته على مناطق أجنبية يعتقد أنها تمده بما تحتاج إليه من وقود وأسواق ومواد خامة وأرباح ؛ فأين عسى أن تجد اليابان هذه الفرصة وتلك المواد ؟ إنها لا تستطيع أن تتجه بأبصارها نحو الهند الصينية أو الهند أو استراليا أو الفلبين ، لأن هذه البلاد قد سبقت الدول الغربية إلى الاستيلاء عليها ، وفرضت فيها من الحواجز الجمركية ما يناصر سادتها البيض على أهل اليابان ؛ وواضح أن الصين قد وضعها الله على أبواب اليابان مقدراً لها أن تكون سوقاً للسلع اليابانية ، كما أن منشوريا — منشوريا الغنية بفحمها وحديدها ، والغنية بقمحها الذى لا تستطيع الجزر اليابانية أن تستنبته فى بلادها على نحو يفيدها ، والغنية برجالها الذين

يصلحون للصناعة والضريبة والحرب — منشوريا هذه قد كتب عليها كذلك أن تكون تابعة لليابان ؛ وبأى حق ؟ بنفس الحق الذى استولت به انجلترا على الهند واستراليا ، واستولت فرنسابه على الهند الصينية ، واستولت به ألمانيا على شانتونج ، والروسيا على بورت آرثر ، وأمريكا على الفلبين — وهو حق الحاجة التى يشعر بها القوى ؛ وعلى كل حال فليس للناس حاجة فى نهاية الأمر إلى التماس المعاذير ، وإنما كل ما يتطلبونه هو القوة والفرصة السانحة اللتان تمكنانك من فعل ما تريد ؛ فالنجاح فى رأى أتباع المذهب الداروينى ، يبرر كل الوسائل التى تحققه

وجاءت الفرصة تفتح لليابان صدرها رحيباً — جاءت أولا فى الحرب العالمية الأولى ، ثم جاءت بعد ذلك فى انهيار الحياة الاقتصادية فى أوربا وأمريكا ؛ فلم يقتصر أثر الحرب على مجرد الزيادة من إنتاج اليابان (كما حدث فى أمريكا) زيادة تطلبتها سوق عظمى خارجية ناشئة بسبب قيام الحرب — وأعنى بتلك السوق قارة أوربا التى كانت مشتبكة فى القتال ؛ بل إن تلك الحرب قد أدت كذلك إلى إضعاف أوربا واستنفاد قواها ، وتركت اليابان ،وشكة أن تكون بغير شريك فى العالم الشرقى ؛ فبسبب هذا كله غزت شانتونج سنة ١٩١٤ ، وبعد ذلك بعام واحد تقدمت إلى الصين « بالمطالب الواحدة والعشرين » التى لو تمكنت من فرضها على الصين ، لأصبحت الصين مستعمرة هائلة تابعة لليابان الضئيلة .

فالمجموعة الأولى من المطالب أرادت من الصين أن تعترف بسيادة اليابان على شانتونج ؛ وطالبت اليابان بالمجموعة الثانية منها بامتيازات صناعية معينة ، وبالاعتراف بحقوق خاصة تتمتع بها اليابان فى منشوريا ومنغوليا الشرقية ؛ وعرضت المجموعة الثالثة من تلك المطالب أن تكون أكبر شركات التعدين فى أرض الصين شركة مشتركة بين الصين واليابان ؛ وطالبت المجموعة الرابعة

(وهى موجهة ضد رجاء أمريكا فى أن تكون لها محطة للفحم بالقرب من فوشو) « بألا تتنازل الصين عن أية جزيرة أو ميناء أو مرسى على طول الساحل لدولة ثالثة » ، واقترحت المجموعة الخامسة اقتراحاً متواضعاً وهو أن تستخدم الصين منذ ذلك الحين فصاعدا مستشارين يابانيين فى شئونها السياسية والاقتصادية والحربية ، وأن تكون إدارة الشرطة فى المدن الصينية الكبرى فى يد مشتركة بين الصينيين واليابانيين ، وأن تشترى الصين نصف ذخائرها على الأقل من اليابان ، وأن يكون لليابان كل الحرية فى مد السكك الحديدية وحفر المناجم وبناء الموانى فى منطقة فوكين(٤١) .

واحتجت الولايات المتحدة بأن بعض هذه « المطالب » فيه اعتداء على سلامة الأراضى الصينية ، وعلى مبدأ « الباب المفتوح » فألفت اليابان المجموعة الخامسة من تلك المطالب ، وعدّلت بقيتها ، ثم قدمتها للصين مقرونة بإنذار نهائى فى اليوم السابع من شهر مايو سنة ١٩١٥ ، فقبلتها الصين فى اليوم التالى لتقديمها ، وتبع ذلك مقاطعة من الصين للبضائع اليابانية ، لكن اليابان مضت فى طريقها قدماً ، على زعم يؤيد التاريخ صحته ، وهو أن المقاطعة التجارية لا بد منتهية عاجلا أو آجلا إلى فشل ، لأن التجارة تميل بطبيعتها إلى أن تتبع أقل التكاليف ؛ وفى سنة ١٩١٧ بسط « الفيكونت إشياى » فى لباقة ، موقف اليابان للشعب الأمريكى ، حتى حمل الوزير « لانسنج » على توقيع اتفاق يعترف بأن « لليابان مصالح خاصة فى الصين ، خصوصاً فى الأجزاء المتاخمة لممتلكاتها » ، وفى مؤتمر وشنطن سنة ١٩٢٢ أرغم الوزير « هيوز » اليابانيين على الاعتراف بمبدأ « الباب المفتوح » فى الصين ، وبأن تقتنع اليابان بأسطول يبلغ ستين فى المائة من حجم الأسطول الإنجليزى أو الأمريكى(*) ووافقت

(*) وضعت نسبة الأساطيل الإنجليزية والأمريكية واليابانية على أساس ٥ ، ٥ ، ٣ وباعتبار امتداد السواحل أو الممتلكات التى تتطلب من انجلترا أو من أمريكا دفاعاً ، إذا قيست إلى صغر حجم اليابان وحماية أرضها حماية طبيعية .

اليابان فى نهاية المؤتمر على أن تعيد إلى الصين ذلك الجزء من شانتونج (تسنجتاو) الذى كانت أخذته من ألمانيا إبان الحرب ، ثم مات الحلف الإنجليزى اليابانى موتاً هادئاً ، وراحت أمريكا تحلم فى فراشها الدافئ بسلام لا تزعجه الحروب أبد الآبدين .

لكن السياسة الأمريكية اصطدمت بفشل من أبشع ما شهدته فى تاريخها ، بسبب تلك الثقة الصبيانية فى مستقبل ناعم ، ذلك أن الرئيس « تيودور روزفلت » لما رأى سكان الساحل الممتـــد على المحيط الهادى قد أزعجتهم هجرات اليابانيين المتواصلة إلى كاليفورنيا ، أخذ فى سنة ١٩٠٧ يفاوض الحكومة اليابانية مستعيناً بسلامة إدراكه التى كانت تكمن فى ثنايا حياته الصاخبة التى قرّبته إلى قلوب الشعب ، واتفق معها « اتفاق السيد الكريم مع السيد الكريم » بحيث وعدت اليابان أن تمنع هجرة عمالها إلى الولايات المتحدة ، لكن ارتفاع نسبة المواليد بين أولئك اليابانيين الذين كانوا قد سمح لهم فعلا بالدخول ، لم تزل تزعج الولايات الغربية من أمريكا ، حتى إن كثيراً من تلك الولايات أصدر القوانين التى تحرم على الأجانب امتلاك الأراضى ، ولما قرر « الكونجرس الأمريكى » سنة ١٩٢٤ أن يحدد الهجرة إلى البلاد ، أبى أن يطبق على الأجناس الأسيوية مبدأ النسبة المخفضة التى سمح بها للشعوب الأوروبية(*) بل حرم هجرة الأسيويين تحريماً قاطعاً ، وقد كان من المستطاع أن نصل إلى نفس النتيجة تقريباً لو طبقنا النسبة الجديدة على كل الأجناس بغير تمييز ولا تعيين ، واحتج الوزير « هيوز » قائلا : « إن هذا التشريع لا فائدة منه إطلاقاً حتى بالنسبة للغاية التى سُنّ من أجل تحقيقها »[٣] ، لكن المتحمسين فسروا الإنذار الذى وجهه السفير اليابانى بشأن « النتائج الخطيرة التى قد تترتب على هذا القانون ، فسروه بأنه تهديد ، واستولت عليهم حمى البغضاء فأصدروا « قانون الهجرة » .

(*) يقرر ذلك المبدأ أن يكون عدد المهاجرين من أى قطر مساوياً فى نسبته إلى مجموع العدد المسموح بهجرته طول العام ، لنفس النسبة التى بين عدد سكان الولايات المتحدة من أصله ذلك القطر سنة ١٨٩٠ وبين مجموع عدد سكان الولايات المتحدة فى تلك السنة .

واشتعلت النار اشـــتعالا فى اليابان كلها لهذا الذى بدا فى عينها إهانة مقصودة ؛ وعقدت الاجتماعات وألقيت الخطب ، وانتحر وطنىٌّ متحمس على طريقة (هاراكيرى) أمام دار (الفيكونت إنوبى) ليعبر بانتحاره ذلك عن شعور القوم جميعاً بالعار ؛ أما زعماء اليابان ، فكانوا يعلمون أن بلادهم قد أضعفها زلزال سنة ١٩٢٣ ، فصمتوا وتربصوا ينتظرون الفرصة السانحة ، فلو سارت الأمور سيراً طبيعياً ، فسيفتُّ الضعف كذلك بأمريكا وأوربا ، وعندئذ ستنتهز اليابان فرصتها ، وتثأر لنفسها ولو بعد حين .

فلما أعقبت أعظم الحروب جميعاً أزمةٌ اقتصاديةٌ هى أعظم الأزمات جميعاً ، وجدت اليابان فرصتها التى طال انتظارها لها ، لكى تثبت أركان سيادتها فى الشرق الأقصى ؛ إذ أعلنت أن السلطات الصينية قد أساءت إلى تجار اليابان فى منشوريا ، هذا إلى شعور خفى عندها بأن سككها الحديدية وسائر مُسْتَغَلاتها الاقتصادية هناك تهددها المنافسة الصينية ، فأمرت جيشها فى سبتمبر سنة ١٩٤١ أن يتقدم فى منشوريا ، بادئة فى ذلك بالعدوان ، أما الصين فكانت فى حالة من الفوضى بسبب الثورة وبسبب حركة انفصالية بين أقاليمها وبسبب ارتشاء ساستها ، فلم تستطع أن تجمع كلمتها فى مناهضة اليابان إلا على صورة واحدة ، وهى أن تعود من جديد إلى مقاطعة البضائع اليابانية ، فلما تذرعت اليابان بحجة الدعاية الصينية لمقاطعة التجارة اليابانية ، وغزت شنغهاى (١٩٣٢) لم ينهض من الصينيين لمقاومة هذا الغزو إلا قلة ضئيلة ؛ ووجهت الولايات المتحدة اعتراضات فى هذا الصدد ، ووافقتها عليها الدول الأوربية (من حيث المبدأ) موافقة باعثها الحذر ، لكنها كانت فى شغل من مصالحها التجارية الفردية بحيث لم تستطع أن تجمع كلمتها جميعاً على إجراء حاسم إزاء هذه الإزالة السريعة لسيادة الرجل الأبيض على الشرق الأقصى ، تلك السيادة التى لم تدم إلا قليلا ؛ وعينت عصبة الأمم لجنة برئاسة (إيرل ليتُن) فقامت ببحث يظهر

فيه الإحكام والحياد ، ثم قدمت تقريرها ؛ غير أن اليابان انسحبت من العصبة على نفس الأساس الذى دعا الولايات المتحدة سنة ١٩٣٥ إلى رفضها الاشتراك فى (هيئة العدن الدولية) — وهو أنها لا تريد أن تحاكم أمام هيئة قضاتها هم أعداؤها ؛ وكانت مقاطعة البضائع اليابانية فى الصين قد خفضت واردات اليابان إلى الصين بنسبة أربعة وسبعين فى المائة بين شهر أغسطس سنة ١٩٣٢ وشهر مايو سنة ١٩٣٣ ؛ لكن التجارة اليابانية فى الوقت نفسه كانت تطرد التجارة الصينية من الفلبين وولايات الملايو والبحار الجنوبية ؛ ولم تحل سنة ١٩٣٤ حتى استطاع ساسة اليابان — بمعونة ساسة الصين — أن يحملوا الصين على إقرار تعريفة جمركية فى صالح المنتجات اليابانية ضد منتجات الدول الغربية (٤٣) .

وفى مارس سنة ١٩٣٢ عينت السلطات اليابانية (هنرى پويى) وارث عرش مانشو فى الصين ، رئيساً لحكومة دولة منشوكو الجديدة ، ثم نصبته بعد عامين ملكاً باسم (كانج ته) وكان ذوو المناصب فى تلك الحكومة إما من اليابانيين أو من أهل الصين الموالين لليابان ، وقد كان خلف كل موظف صينى مستشار يابانى(٤٤) ؛ فبينما كانت خطة (الباب المفتوح) معترفاً بها من الوجهة الفنية ، التمست اليابان سبلها نحو وضع التجارة والموارد المنشوكية تحت سلطانها(٤٥) ؛ ولئن تعذر على اليابانيين أن يمضوا فى هجرتهم من بلادهم إلى تلك الدولة ، فقد تدفقت رءوس الأموال اليابانية إليها تدفقاً غزيراً ، ومدت الخطوط الحديدية لأغراض تجارية وعسكرية ، وأصلحت الطرق بخطوات سريعة ، وبدأت المفاوضات لشراء (السكة الحديدية الشرقية الصينية) من السوفييت ، ولم يكتف الجيش اليابانى الظافر القادر بتنظيم الدولة الجديدة ، بل جعل يملى سياسة حكومتها فى طوكيو ، وغزا إقليم (چهول) بالنيابة عن الملك (پويى) ، ثم تقدم حتى كاد يبلغ (پيپنج) ، لكنه تقهقر تقهقراً مشرفاً ، لينتظر الفرصة السانحة .

وإلى أن تحين تلك الفرصة المرتقبة ، راح ممثلو اليابان فى تانكنح يبذلون جهدهم المالى كله ليكسبوا من الحكومة الصينية رضاها عن زعامة اليابان فى كل جانب من جوانب حياة الصين الاقتصادية والسياسية ؛ فإذا ما كسبت الصين بالغزو أو بالقروض المالية ، باتت اليابان على استعداد لمواجهة عدوتها القديمة : التى كانت فيما مضى إمبراطورية الروس أجمعين ، وأصبحت اليوم تعرف باسم « اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية » ؛ وإن الجيش اليابانى ليستطيع أن يضرب ضربته فى أى موضع على طول طريق القوافل فى منغوليا فيخترق « كالجان » و « أورجا » ؛ أو عبر الحدود المنشوكية فيتوغل فى « شيتا » أو فى أى موضع آخر من مئات المواضع الضعيفة التى يتثنى عندها الخط الحديدى حول الدولة الحديدة ؛ ذلك الخط الذى يخترق سيبريا ، والذى لا يزال فى معظم أجزائه فى الشرق الأقصى خطاً مفرداً ، أقول إن الجيش اليابانى يستطيع أن يضرب ضربته فى أى موضع من تلك المواضع فيقطع الرباط الحيوى الذى يربط الصين وڤلاديڤستك وما وراء بيكال ، بعاصمة الروس ؛ فأخذت الروسيا تعد نفسها لهذا الصراع المحتوم إعداداً فيه روح البطولة وحرارة التحمس ؛ فبذلت مجهوداً فى استغلال مناجم الفحم وإقامة مصانع الصلب فى مدينتى « كوزنتسك » و « ماجنيتو جورسك » ، بحيث يمكن تحويل تلك المناجم والمصانع إلى معامل هائلة للذخيرة ، وأعدت فى الوقت نفسه طائفة كبيرة من الغواصات فى « ڤلاديڤستك » ليلاقى الأسطول اليابانى ، كما أعدت مئات من قاذفات القنابل التى جعلت أعينها مفتوحة ترقب مراكز الإنتاج والمواصلات فى اليابان ، وتلحظ مدنها المنشأة من خشب دماره ميسور .

ووقفت الدول الغربية خلف هذه الطليعة المنذرة بالشر ، وقفت واجلة خائبة الرجاء : فأمريكا يأكلها الغضب لفقدانها أسواق الصين ؛ وفرنسا تتساءل : ترى كم يتاح لها أن تظل مسيطرة على الهند الصينية ، وانجلترا قلقة

على استراليا والهند ، ومضطربة بسبب منافسة اليابان لها ، لا فى الصين وحدها بل فى كل أرجاء ملكها فى الشرق ؛ ومع ذلك ففرنسا آثرت أن تعين اليابان معونة مالية على مُناصبتها العدوان ، وبريطانيا الحذرة رأت أن تنتظر فى صبر لم يسبق له مثيل ، راجية أن يفتك كل من منافستيها العظيمتين فى التجارة الأسيوية بالأخرى ، فتتركا العالم لانجلترا وحدها من جديد ؛ وأخذ تضارب المصالح يشتد حدة يوماً بعد يوم ، ويدنو رويداً رويداً من الصراع المكشوف ؛ وأصرت اليابان على أن تحتفظ الشركات الأجنبية التى تبيع لها البترل ، بمخزون من البترول على أرض يابانية يكفى حاجة الجزر نصف عام فى حالة الطوارئ ؛ وأغلقت مانشوكو أبوابها فى وجه البترول اليابانى ، واستطاعت اليابان — رغم احتجاجات الأمريكيين ورغم معارضة رئيس جمهورية أورجواى — استطاعت أن تأخذ تصريحاً من الهيئة التشريعية فى أوراجواى ، بأن تقيم على نهر پلات ميناء حرة ، تدخلها السلع اليابانية بغير ضريبة جمركية ، أو تصنع فيها البضائع اليابانية ؛ ومن هذا المركز الحربى ، ستنفذ اليابان إلى قلب أمريكا اللاتينية من حيث التجارة والمال ، ستنفذ بخطوات لم يسبق لها مثيل فى السرعة منذ عَمِلَ الغزو الألمانى السريع لأمريكا الجنوبية على نشوب الحرب العظمى ، وعلى اشتراك أمريكا فيها ؛ ولئن أخذت ذكريات تلك الحرب فى الزوال ، فإن العدة لتتخذ من جديد لحرب جديدة(*) .

أليس لأمريكا بد من محاربة اليابان ؟ إن نظامنا الاقتصادى يسخو فى العطاء لأصحاب رءوس الأموال ، فيعطيهم قسطاً كبيراً من الثروة التى يتعاون على خلقها العلم والإدارة والأيدى العاملة ، فلا يبقى إلا قدراً أقل مما ينبغى أن يبقيه لسواد المنتجين ، حتى يتاح لهم أن يشتروا السلع التى أنتجوها ؛ وبهذا يفيض قدرٌ زائد من السلع ، يصرخ مطالباً بغزو الأسواق الخارجية ،

(*) وقعت تلك الحرب الجديدة فعلا سنة ١٩٣٩ (المعرب) .

وإلا اضطرب مجرى الإنتاج فى داخل البـــلاد (أو اضطر أصحاب تلك السلع أن يزيدوا من القدرة الاستهلاكية بين أفراد الشعب) ، ولئن كان هذا القول صحيحاً بالنسبة لنظامنا الاقتصادى (يقصد النظام الأمريكى) فهو أصح بالنسبة لليابان ، فهى مضطرة كذلك إلى غزو أسواق خارجية ، لا لكى تحتفظ بثروتها فحسب ، بل لتضمن كذلك الوقود والمواد الخامة التى لا غنى عنها لقيام صناعتها ، ويشاء التاريخ الساخر أن تكون هذه اليابان التى أيقظتها أمريكا من حياتها الزراعية الساكنة سنة ١٨٥٣ ودفعتها فى حياة الصناعة والتجارة ، هى نفسها التى تواجه اليوم كل قوتها وكل دهائها لكسب الأسواق الأسيوية بانخفاض أسعار السلع الأمريكية ولفرض رقابتها على تلك الأسواق بالغزو الحربى وبالأساليب الدبلوماسية ، تلك الأسواق التى كانت هى بعينها ما علقت أمريكا رجاءها عليها لأنها أوسع مخرج يمكن تهيئته لفيض البضائع الأمريكية ، وقد عهدنا فى التاريخ أنه إذا تنافست دولتان على أسواق بعينها ، فإن الدولة الخاسرة فى مجال المنافسة الاقتصادية — إذا ما كانت أقوى من زميلتها ثروة وعدة حربية — هى التى تعلن الحرب على الأخرى .

ولا شك أن حرباً كهذه لو نشبت بين أمريكا واليابان ، كانت خاتمة مُرة لما أسدته أمريكا من يد فى فتح أعين اليابان ، لكن شئون الدول ينتابها مَدٌّ لو أفلت زمامه من أيدى القابضين على الأمور ، قبل أن يستجمع قوته ، فإنه لا بد مكتسح الأمة التى يطفو بأرضها ، إلى مأزق من الظروف لا يدع أمامها مجالا للاختيار إلا بين طريقين فإما الذل وإما القتال ، ويميل مَنْ قد تجاوزوا سن الجندية ، إلى إيثار الحرب على الخشوع ، وليس يقلل من خطر نشوب قتال بيننا وبين اليابان ، الاحتمالُ القوى بأن تنشب حرب بينها وبين روسيا ، لأنه لو عادت هاتان الأمتان إلى تحدى إحداهما الأخرى ، فقد لا نجد بدا من التدخل فى الأمر على أساس المبدأ القديم ، ذلك المبدأ الذى نهضت لتأييده

أمثلة كثيرة فى عصرنا بحيث نستخلص منها الحكمة السديدة ، وهى أنه خير لنا أن نعاون على الفتك بمنافس تعرض ، فعلا لهجمة من عدوه ، من أن ننتظر حتى يكسب نصراً يزيد فى قوته زيادة خطرة ؛ أما إذا أردنا ألا ننساق فى هذا الطريق ، فكل ما نتطلبه هو أن نتذكر أنه مهما بلغت شدة الحاجة باليابان إلى أسواق الشرق ؛ فهذه الأسواق أبعد جداً من أن تكون شرطاً لازماً لازدهار تجارتنا ؛ وأننا إذا كسبنا تلك الأسواق إما بحرب باهظة النفقات فى بحار بعيدة ، أو بتنافس يدعونا إلى الهبوط بمستوى حياة شعبنا ، فذلك كسب أجوف ؛ وقد يكون نعمة لبلادنا أن يضطر تجارنا إلى البحث عن أسواق لسلعهم داخل حدود بلادنا ؛ وعندئذ فقد يتبين لنا أن سعادتنا لا تعتمد على غزونا لأسواق وراء البحار ، بل إن سعادتنا فى نشر ثمرات الاختراع والصناعة ومنتجاتها نشراً يتيح لأهل بلادنا — وإنهم لكثيرون — أن يكونوا سوقاً تكفى لبيع مصنوعاتنا — حتى إذا بلغت المصنوعات أعلى درجات الإنتاج ؛ لأن مساحة قدرها ٣٫٧٣٨٫٠٠٠ ميلا مربعاً تكفى لاستنفاد ذلك الإنتاج .

أما وقد علّمنا اليابان أساليب الصناعة والحرب ، فلا بد لنا أن نصبر على القضاء الذى جعلها مؤقتاً سيدة الشرق اقتصادياً وحربياً ، فليس بنا حاجة إلى الحقد على « أبناء الشمس » إذا ما حانت ساعة قوتهم ومجدهم ، ولا إلى حسدهم على إمبراطوريتهم المتهافتة أو ثروتهم التى قد تتعرض للزوال ؛ إن العالم فيه من سعة الرحب ما يكفينا ويكفيهم معاً ؛ ولو شئنا ، لوجدنا فى البحار آفاقا لا تزال بعيدة بيننا وبينهم ؛ بحيث تهيئ لنا السلام(*) .

(*) لم يتحقق أمل الكاتب وقامت الحرب بين الدولتين على ما هو معروف. (المعرب)

خاتمـــة

تراثنا الشرقى

لقد مررنا مسرعين ، على نحو لم نكن نودُّه ، خلال أربع آلاف عام من أعوام التاريخ ، فمررنا بذلك على أغنى الحضارات التى شهدتها أكبر القارات ؛ ويستحيل أن نكون قد فهمنا هذه الحضارات أو أن نكون قد وفيناها حقها العادل ؛ إذ كيف يسطيع عقل واحد فى حياة واحدة أن يستوعب أو يقدر تراث جنس بأسره ؟ إن النظم الاجتماعية والعادات والفنون والأخلاق عند شعب من الشعوب تصور عملية الانتخاب الطبيعى الذى تقوم به تجارب لا حصر لعددها ، يظل فيها ذلك الشعب يخطئ لكى يهتدى بالخطأ إلى الصواب كما تصور حكمة الأجيال التى تعاقبت فى ذلك الشعب فتكدست تراثاً غزيراً حتى بات من العسير صياغتها فى عبارات تضم أطرافها ؛ فلا الفيلسوف بذكائه ولا الطالب الصغير بعقله يستطيع أن يحيط بمثل ذلك التراث إحاطة الفاهم لأسراره ؛ دع عنك أن يحكم عليه حكماً عادلا ؛ إن أوربا وأمريكا هما طفل مدلل وحفيد أنجبتاهما آسيا ، ولم يُقدَّر لهما قط أن يتبينا غزارة الثروة التى جاءتهما قبل بداية تاريخهما القديم ، لكننا إذا عمدنا الآن إلى تلخيص تلك الفنون وأساليب العيش التى استمدها الغرب من الشرق ، أو التى ظهرت لأول مرة فى الشرق — حسب ما يدلنا علمنا المحدود المتداول — فسنجد أننا نرسم بذلك التلخيص — عن غير قصد منا — رسما تخطيطاً لسير المدنية .

إن أول عوامل المدنية هو العمل — الزراعة والصناعة والنقل والتجارة ؛

ونحن نصادف فى مصر وآسيا أقدم ما نعلمه من حضارة زراعية(*) إذ نصادف أقدم نظم الرى ؛ كما نصادف أول(†) إنتاج لتلك المشروبات المنبهة التى لانظن أن الحضارة الحديثة كان يمكن أن تقوم بغيرها — وهى الجعة والنبيذ والشاى ؛ لقد تقدمت الصناعات اليدوية والأعمال الهندسية فى مصر قبل عهد موسى ، تقدمها فى أوربا قبل ڤولتير ؛ والبناء بالقراميد يرجع تاريخه إلى عهد سرجون الأول على أقل تقدير ؛ وأول ظهور عجلة الخزّاف وعجلة العربة كان فى « عيلام » ، وأول ظهور التيل والزجاج كان فى مصر ، وأول ظهور الحرير والبارود كان فى الصين ؛ وخرج الحصان من آسيا الوسطى إلى ما بين النهرين ومصر وأوروبا ؛ وأبحرت السفن الفينيقية حول أفريقيا قبل عصر بركليز ، وجاءت « البوصلة » من الصين فأحدثت فى أوروبا ثورة تجارية ، وكانت سومر أول من ترك لنا عقوداً تجارية ؛ وأول نظام للقروض وأول استعمال للذهب والفضة معيارين للقيمة ؛ والصين هى أول من قام بمعجزة قبول الورق مكان الفضة والذهب .

وثانى عناصر المدنية هو الحكومة — أعنى تنظيم الحياة والمجتمع ووقايتهما بفضل القبيلة والأسرة والقانون والدولة ؛ ففى الهند تظهر الجماعة القروية ، كما تظهر « دولة المدينة » فى سومر وأشور ؛ ومصر قد أحصت سكانها وفرضت ضريبة على الدخل وحافظت على الأمن الداخلى مدى قرون طويلة دون أن تستخدم من وسائل العنف إلا حدها الأدنى ؛ وها هما « أور — إنجور » « وحمورابى » قد سنّا تشريعين عظيمين من تشريعات القانون ؛ و « دارا »

(*) يجوز أن تكون الزراعة وإخضاع الحيوان لخدمة الإنسان قديمين فى أوربا ، فيرجعان فيها إلى العصر الحجرى الجديد كما يرجعان إلى مثل هذا العصر فى آسيا . لكن الأرجح أن ثقافة أوربا فى العصر الحجرى الجديد فى أوربا كانت أحدث عهداً من ثقافتى ذلك العصر نفسه فى أفريقيا وآسيا (راجع الجزء الأول من سلسلة أجزاء هذا الكتاب ، الخاص بنشأة الحضارة) .

(†) فى هذه العبارات وما يتلوها من عبارات ، قد حذفنا كلمة « فيما نعلم » على أن تكون مفهومة للقارئ .

قد نظم بجيشه الإمبراطورى ورُسُله إمبراطورية من خير ما شهد تاريخ الحكومات فى حسن الإدارة .

وثالث عناصر المدنية هو الأخلاق — العادات وآداب السلوك ، والضمير والإحسان ؛ فالأخلاق قانون ينشأ فى باطن النفس ، ويولِّد فيها آخر الأمر تمييزاً بين الصواب والخطأ ، وينظم ما يجيش فى الإنسان من شهوات فيخضعها للطريق السوى ؛ وبغير ذلك القانون تنحل الجماعة أفراداً وتسقط فريسة لدولة أخرى يكون فيها التماسك الاجتماعى ؛ ومن القصور الملكية القديمة فى مصر وما بين النهرين وفارس ، عرف العالم آداب المعاملة الرقيقة ؛ بل إن الشرق الأقصى ليمكنه اليوم أن يعلم آداب المعاملة وكرامة النفس للغرب الغليظ القلق ، وظهر فى مصر نظام الزواج بزوجة واحدة للزوج الواحد ، وهناك أخذ ذلك النظام يكافح ليثبت أقدامه ويديم بقاءه إزاء المنافسة التى لاقاها من نظام تعدد الزوجات للزوج أو الأزواج للزوجة الذى ظهر فى آسيا ، وهو نظام ظالم لكنه عامل على تحسين النوع البشرى ، وكذلك كانت مصر أول دولة بعثت صرختها مطالبة بإقامة العدل الاجتماعى ، كما كانت الدولة اليهودية أول من دعا الناس إلى الإخاء البشرى ، وأول من صاغ للإنسانية قانون الأخلاق الذى يشعر الإنسان بنسبته لأسرة البشرية جمعاء .

ورابع عناصر المدنية هو الدين — أى الانتفاع بعقائد الإنسان فى القوى الخارقة للطبيعة للتخفيف من الآلام والسمو بالشخصية الإنسانية وتقوية الغرائز الاجتماعية والنظام الاجتماعى ، فقد استمدت أوروبا أعز أساطيرها وتقاليدها من سومر وبابل والدولة اليهودية ، وفى تربة الشرق نبتت قصص الخلْق والطوفان وسقوط الإنسان وخلاصه ، ومن آلهات أمهات كثيرات جاءتنا فى النهاية « أجمل زهرة من زهرات الشعر » وأعنى بها مارية أم الله — كما وصفها هينى = ومن فلسطين برزت الوحدانية وانبعثت أرق أغانى الحب والثناء فى الأدب ، كما خرج منها أقوى وأعزل وأفقر شخصية شهدها التاريخ .

وخامس عناصر المدنية هو العلم — وهو النظر الصافى والتسجيل الصادق والاختبار المحايد وجمع المعرفة شيئاً فشيئاً ، بحيث تكون من الصدق الموضوعى بما يمكننا من التنبؤ بمجرى الطبيعة فى المستقبل وضبطه ، فنرى مصر قد طوَّرت الحساب والهندسة وأنشأت التقويم ، كما نرى الكهنة المصريين قد مارسوا الطب وكشفوا عن الأمراض وقاموا بشتى صنوف العمليات الجراحية وسبقوا أبقراط فى إخلاصه لفنه ، ودرست بابل النجوم ورسمت مواضع البروج وقسمت لنا الشهر أربعة أسابيع وآلة قياس الزمن اثنتى عشرة ساعة والساعة ستين دقيقة والدقيقة ستين ثانية ، وعلمتنا الهند بواسطة العرب أعدادها البسيطة وكسورها العشرية السحرية كما علَّمت أوربا دقائق التنويم المغناطيسى وفن التطعيم .

وسادس عناصر المدنية هو الفلسفة = وهى محاولة الإنسان أن يفهم شيئاً عن الوجود فى مجموعه ، ولو أن الإنسان حين يأخذه التواضع حيناً بعد حين يتبين الحقيقة وهى أن فهم الوجود فى مجموعه مستحيل إلا على اللانهاية ، هى بحث جرىء يائس عن العلل الأولى للأشياء ومغزاها النهائى ، وعن معنى الحق والجمال والفضيلة والعدالة والإنسان الأمثل والدولة المثلى ، وهذا كله يظهر فى الشرق قبل ظهوره فى أوربا بقليل : فنرى المصريين والبابليين يتأملون طبيعة الإنسان وقضائه المرسوم ، واليهود يكتبون تعليقات خالدة عن الحياة والموت ، بينما كانت أوربا تتخبط فى طور الهمجية ، كذلك نرى الهنود يتناولون المنطق ونظرية المعرفة فى نفس الوقت الذى عاش فيه بارمنيدس وزينون الأيلى على أقل تقدير ، وكتب الـ « يوپانشاد تخوض فى الميتافيزيقا ، وبوذا يذيع علم نفس يشبه ما جاء به علم النفس الحديث القريب العهد ، مع أنه عاش قبل أن يولد سقراط ببضعة قرون ، وإذا كانت الهند قد أغرقت الفلسفة فى الدين ، ولم توفق إلى استخلاص التفكير السليم من أوهام الأمل ، فإن الصين قد صممت جادة أن تجعل تفكيرها دنيوياً ، وأنجبت — قبل أن

يولد سقراط أيضاً - مفكراً كانت له حكمة رزينة لا تكاد تغير منها شيئاً إذا أردت أن تجعلها هادياً للناس فى عصرنا هذا ، ومصدر وحى أولئك الذين يودون مخلصين أن يسوسوا الدول سياسة شريفة .

وسابع عناصر المدنية هو الأدب — وهو نقل اللغة على تتابع الأجيال ، وتربية النشء وترقية الكتابة وإبداع الشعر والمسرحية والحافز على القصة وتدوين ذكريات الماضى ؛ وأقدم ما نعرف من مدارس هو ما كان منها فى مصر وبلاد النهرين ، بل إن أقدم المدارس الحكومية كانت مصرية كذلك ، والأرجح أن تكون الكتابة قد جاءتنا من آسيا ، كما جاءت أحرف الهجاء والورق والمداد من مصر ، ثم جاءت الطباعة فى الصين ، ويظهر أن البابليين قد جمعوا أقدم مجموعة من قواعد النحو وقواميس الألفاظ وأول ما جمع من مكتبات ، والاحتمال قوى فى أن تكون جامعات الهند قد سبقت أكاديمية أفلاطون ، وصقل الآشوريون أنباء الأساطير فجعلوا منها تاريخاً ، ثم نفخ المصريون فى التاريخ فجعلوه ملحمة ، وقدم الشرق الأقصى إلى العالم تلك الصور الرقيقة من الشعر التى تركز كل روعتها فى نظرات حادقة لطيفة يصوغونها فى صور خيالية ترتسم فى أذهاننا لساعتها ، وكان « نابونيدوس » و « أشوربانيبال » من رجال البحث الأثرى — وهما اللذان استكشف الباحثون الأثريون آثارهما ، وترجع طائفة من الحكايات القديمة الخرافية التى تمتع أطفالنا إلى الهند القديمة .

وثامن عناصر المدنية هو الفن — وهو تجميل الحياة بالألوان والأنغام والصور التى تشرح الصدور ، والفن فى أبسط ظواهره يكون فى تجميل البدن ، فنرى ثياباً رشيقة ومجوهرات فاخرة ودهوناً للزينة الداعرة ، نجد كل ذلك فى العصور الأولى من حضارة المصريين والسومريين والهنود ، وإن المقابر المصرية لتملؤها قطع الأثاث الجميلة والخزف الرشيق والنحت الرائع فى العاج والخشب ، ولا شك فى أن اليونان قد تعلموا شيئاً من مهارتهم فى النحت والعمارة والتصوير والنقش البارز ، لا من آسيا وإقريطش فحسب ،

بل كذلك من الآيات الروائع التى كانت لم تزل فى أيامهم تسطع على مرآة النيل ، فمن مصر وبلاد النهرين أخذت اليونان نماذج عمدها الدورية والأيونية ؛ ومن تلك البلاد نفسها جاءنا إلى جانب العمد « البواكى » والدهاليز والقباب ؛ وساهمت أبراجُ الشرق الأدنى القديم بنصيب فى تشكيل العمارة الأمريكية اليوم ، وكان للتصوير الصينى والرسوم الحفرية اليابانية أثرهما فى تغيير بعض قواعد الفن فى أوربا فى القرن التاسع عشر ، وكذلك وضع « البورسلان » الصينى أمام أعين الأوربيين نموذجاً جديداً للكمال تحتذيه ، والجلال الحزين الذى تسمعه فى الأغنية الجريجورية ، يرجع عصراً بعد عصر حتى يبلغ أصله الأول فى الأغانى الباكية التى كان ينشدها اليهود المشردون إذ هم يجتمعون خاشعين فى معابدهم المتناثرة هنا وهناك .

تلك هى بعض عناصر المدنية ، وجزء من التراث الذى خلفه الشرق للغرب .

ومع ذلك كله فقد وجد العالم القديم (من التاريخ الأوربى) مجال الإضافة إلى هذا التراث الفنى فسيحاً ، فستبنى إقريطش حضارة تكاد تبلغ فى قِدمها مبلغ الحضارة المصرية وستكون حلقة اتصال تربط بين ثقافات آسيا وإفريقيا واليونان ، وسترقى اليونان بالفن بحيث لا تنشد الحجم بل الكمال ، وستزاوج بين رقة الأنوثة التى تتمثل فى الصورة النهائية والصقل الختامى للقطعة الفنية وبين قوة الذكورة التى تتمثل فى عمارة مصر وتماثيلها ، فتمهد السبيل بذلك إلى جو يظهر فيه أعظم عصر شهده تاريخ الفن ، وستُدخل فى نواحى الأدب كلها تلك الخصوبة المبدعة التى يتصف بها العقل الحر ، فتضيف ملاحم ملتوية الشعاب ومآسى عميقة الأغوار ، وملاهىَ ضاحكة وتواريخ تأخذ بالخيال ، ستضيف كل ذلك إلى ذخيرة الآداب الأوروبية ، وستنظم الجامعات وتقيم حرية الفكر الدنيوى فترة ناصعة تتخلل فترات يضطهد فيها الفكر المستقل ، وستفوق كل سوابقها فى الرقى بالرياضة والفلك وعلم الطبيعة التى خلفتها لها مصر والشرق ، وستبتكر علوم الحياة ابتكاراً ، وتنشئ نظر الإنسان إلى الكون نظرة طبيعية ، وستأخذ بيد الفلسفة حتى تصل بها إلى مرحلة الوعى

والنظام وستبحث بحثاً عقلياً خالصاً فى كل مشكلات حياتنا ؛ ستحرر الطبقات المتعلمة من سلطان رجال الدين ومن الخرافة ، وتحاول إقامة الأخلاق على أساس لا يعتمد فى شىء على معونة ما فوق الطبيعة ؛ وستنظر إلى الإنسان باعتباره مواطناً لا باعتباره « رعية » وتهبه حريته السياسية وحقوقه المدنية ، وتطلق له من الحرية العقلية والخلقية ما لم يسبق له نظير ، ستخلق الديمقراطية خلقاً وتنشئ الفرد إنشاء . وستستأنف روما السير فى هذه الثقافة فتنشرها فى أرجاء الدول القائمة فى منطقة البحر الأبيض المتوسط ، وتحميها مدى خمسمائة عام من هجمات البرابرة ، ثم تنقلها خلال الأدب الرومانى واللغات اللاتينية إلى أوربا الحديثة ؛ وسترفع المرأة إلى مراكز القوة والمجد والتحرير العقلى ، التى ربما لم تكن قد ظفرت بها من قبل ؛ وتقدم إلى أوروبا تقويماً جديداً وتعلمها مبادئ النظام السياسى والأمن الاجتماعى ، وتقيم حقوق الفرد على أساس ثابت من القوانين التى عملت على تماسك القارة الأوروبية خلال قرون من الفقر والفوضى والخرافة .

وفى الوقت نفسه سيعود الشرق الأدنى ومصر إلى الازدهار مرة أخرى بحافز من التجارة والفكر اليونانيين والرومانيين ، وستحيي قرطاجنة كل ما كان لصيدا وصور من ثروة ورفاهية ؛ وسيجتمع « التلمود » فى أيدى يهود مشتتين لكنهم ذوو ولاء ؛ وسيزدهر العلم والفلسفة فى الإسكندرية ، وسيتولد من امتزاج الثقافتين الأوروبية والشرقية دين أريد به أن يمحو الحضارة اليونانية والرومانية إلى حد ما ، وأن يُبقى عليها ويضيف إليها إلى حد ما ؛ إن كل العوامل كانت مهيأة لتنتج الفترات التى كانت بمثابة الذُّرى للعصور القديمة (الأوروبية) ، وهى أثينا فى عهد بركليز ، وروما فى عهد أوغسطس ، وأورشليم فى عصر « هيرود » ؛ وكان المسرح معداً لمسرحية مثلثة الجوانب ، قوامها أفلاطون وقيصر والمسيح .

كلمة عن المؤلف

ولد «ول ديورنت» فى «نورث آدمز» من أعمال «ماساشوست» سنة ١٨٨٥ ؛ وتلقى تعليمه فى مدارس « نورث آدمز » هذه ومدارس « كيرنى » من أعمال « نيوچيرسى » ، وهى مدارس تتبع الكنيسة الكاثوليكية فى ذينك الإقليمين ؛ وتلقاه كذلك فى كلية القديس بطرس (اليسوعية) فى مدينة جيرسى وفى جامعة كولمبيا بنيوريوك ؛ ولبث صيفاً يشتغل مراسلا ناشئاً « لجريدة نيويورك » وكان ذلك عام ١٩٠٧ ؛ لكنه وجد هذا العمل شديد الوطأة على نفسه فلم يحتمل المضى فيه ، فاكتفى بتدريس اللاتينية والفرنسية والإنجليزية وغيرها من المواد فى كلية « سيتن هول » فى سوث أورانج من أعمال نيوچيرسى (١٩٠٧ — ١١) ، وهناك التحق بإحدى حلقات الدرس سنة ١٩٠٩ لكنه عاد فتركها سنة ١٩١١ لأسباب ذكرها فى كتابه « مرحلة التحول » وانتقل من تلك الحلقة الدراسية إلى الدوائر المتطرفة فى نيويورك ، وهناك اشتغل بالتدريس فى « مدرسة فرر » (١٩١١ — ١٣) فكانت تلك الفترة بمثابة تجربة فى التربية الحرة ؛ وفى سنة ١٩١٢ طاف بأرجاء أوروبا على نفقة « أولدن فريمان » الذى صادقه وتعهد أن يوسع من آفاقه ؛ وفى سنة ١٩١٣ ركز اهتمامه فى الدراسة ليحصل على الدرجة الجامعية من جامعة كولمبيا ، وتخصص فى علم الحياة متتلمذاً على « مررجنْ » و « كالكِنز » ؛ وفى الفلسفة تتلمذاً على « وودبردج » و « ديوى » ؛ ونال درجة الدكتوراه من تلك الجامعة سنة ١٩١٧ ، وأخذ يعلم الفلسفة فى جامعة كولمبيا عاماً واحداً ؛ ثم بدأ يلقى فى سنة ١٩١٤ — فى الكنيسة المسيحية الكائنة فى شارع أربعة عشر وفى الطريق الثانى بنيويورك — بدأ يلقى هناك تلك المحاضرات فى الفلسفة والأدب التى أعدته لإخراج كتابيه « قصة الفلسفة » و « قصة الحضارة » ؛ فقد كان

معظم المستمعين إليه فى تلك المحاضرات من العمال والعاملات الذين كانوا يتطلبون وضوحاً تاماً وعلاقة تربط ما يقال بالحوادث الجارية ، كانوا يتطلبون ذلك فى كل المواد التاريخية التى تعتبر جديرة بالدرس ، وفى سنة ١٩٢١ نظم « مدرسة ليبرتمبل » التى أصبحت تجربة من أنجح التجارب التى أجريت فى تربية الكبار فى العصر الحديث ، ثم تركها سنة ١٩٢٧ ليكرس نفسه لكتاب « قصة الحضارة » وطاف بأوروبا مرة أخرى سنة ١٩٢٧ ، وطوف بالعالم سنة ١٩٣٠ ليدرس مصر والشرق الأدنى والهند والصين واليابان ، وعاد فطوف بالعالم من جديد سنة ١٩٣٢ ليزور اليابان ومنشوريا وسيبريا والروسيا ، وهو يرجو لنفسه فى الخمسة الأعوام المقبلة (التى تلت إخراج هذا الجزء من قصة الحضارة) أن ينفق عاماً فى اليونان وإيطاليا ليأخذ أهبته للجزء الثانى من « قصة الحضارة » .

obeikandl.com

المراجع†

الباب الثامن والعشرون

1. The *Kojiki* (681-711), in Murdoch, i, 59f, and Gowen, H.H., *Qutine History of Japan*, 37f.
2. Murdoch, iii, 483.
3. Gowen, *Japan*, 13: Chamberlain, B.H., *Things Japanese*, 249.
4. Gowen, 25, reports three days of rain or snow in the average week.
5. Gowen, 17, 12; Chamberlain, B. H., 195; Redesdale, Lord, *Tales of Old Japan*, 2.
6. Chamberlain, B. H., 127.
7. Gowen, 99; Murdoch, iii, 211, 895-7; Chamberlain, 130.
8. Ibid, 128.
9. Hearn, Lafcadio, Japan : *An interpretation*, 455.
11. Gowen, 61; Murdoch, i, 38.
12. Ibid.
13. Hearn, 448; Fenollosa, ii, 159.
14. Fenollosa, i, 64; Murdoch, i, 98-9.
15. Gowen, 64.
16. Murdoch, i. 49, 97.
17. Armstrong, 5, 18.
18. Ibid., 2.
19. Hearn, 53.
20. Murdoch, i, 39.
21. Brinkley, Capt. F., *Japan : Its History, Arts* and *Literature* v, 118 Hearn, 45, 51.
22. Gowen, 67.
23. Ibid., 65.
25. Ibid., 118.
26. Murdoch, i, 240-1.
27. Ibid, i, 377-8; Gowen, 116.
28. Murasaki, Lady, *Tale of Genji*, 27.
29. Tetjens, 156; tr. Curtis Hidden Page, Some authors attribute the poem to Michizane (Gowen, 119).
30. Close, Upton. *Challenge*: *Behind the Face of Japan*, 28; Gowen, 105; Latourette, i, 226.
31. Fenollosa, i, 149.
32. Brinkley *Japan* iv, 148.
33. Fenollosa, 153
34. Murdoch, i, 279.
35. Brinkley, i, 230.
36. Mardoch, i, 228 30.
37. Gowen, 147.
38. Murdoch, ii, 711.
38a. Close, *Challenge*, 54.
39. Gowen, 156.
40. Ibid., 161 - 2; Murdoch, i, 545; Brinkley, ii, 190.
41. Ibid, ii, 108; vii, 17.
42. Close, 33.
43. Ibid., 34.
44. Murdoch, ii, 305.
45. Ibid., ii, 311.

(†) سنثبت اسم الكتاب كاملا عند أول وروده فى هذه القائمة ثم نكتفى بعد ذلك بذكره مختصرا

46. Froez in Murdoch, ii, 369.
47. Gowen, 191.
48. Murdoch, ii, 89, 90, 238; Hearn, 365; Gowen, 191.
49. Hearn, 365.
50. Murdoch, ii, 241.
51. Ibid., 243.
52. Close, 44.
53. Brinkely, ii, 219.
54. Armstrong, 85.
55. Close. 56.
56. Ibid., 57-8.
57. Aston, 218-9; Bryan, 117.
58. Murdoch, ii, 402f.
59. Ibid., ii, 205.
60. Brinkley, ii, 205.
61. Murdoch, iii, 315-30.
62. Hearn, 390

الباب التاسع والعشرون

1. Hearn, 3.
2. Okakura, 10, 8.
3. Brinkley, iv, 6-7, 134; Murdoch iii, 171.
4. Brinkley, ii, 115; iv, 172.
5. Ibid., Iv, 36.
6. Chamberlain, B. H., 415.
7. Nitobe, Inazo, *Bushido, the Soul of Japan*, 18.
8. Brinkley, iv, 147, 217; Redesdale, 40.
9. Secretion45 of Iyeyasu's "Legacy" in Hearn, 193; Murdoch, iii, 40.
10. Ibid.,
11. J. H. Longford, in Murdoch, iii, 40n. Longford adds, *Se non èveroè bentravato*.
12. Nitobe, 23.
13. Brinkley, iv, 56.
14. Ibid., 142, 109.
15. Hearn, 313; Gowen, 251.
16. Ibid., 364.
17. Murdoch, iii, 221; Aston. 231; Chamberlain, *Things Japanese*, 220-1; Hearn, 318.
18. Close, 59; Nitobe, 141.
19. Redesdale, 13, 16-7, 272; Aston, 230; Murdoch, iii, 235,
20. Nitobe, 121.
21. Murdoch, i, 188-9.
22. Brinkley, *Japan*, iv, 53; Hearn 328.
23. Brinkley, iv, 55, 92; Close, 58.
24. Brinkley, iv, 61.
25. Ibid., 63.
26. Hearn, 195.
27. Close, 58.
28. Hearn, 378.
29. Murdoch. iii. 336; Brinkley, iv, 67.
30. Hearn, 260, 255; Murdoch, i, 172; Brinkley, i, 238, 241; iv 111.
31. Gowen, 97.
32. Chamberlain, 150; Redesdale, 16; Armstrong, 19.
33. Brinkley, i, 133.
34. Murdoch, i, 17.
35. Brinkley, v. 195; ii, 118.
36. Gowen, 98.
37. Brinkley, ii, 118; v, 1; Murdoch, i, 603.
39. Close, 341.
40. In Aston, 149-50.
41. *History, of Japan*, iii, 21, in Mordoch, iii, 171.
42. Cf. Close, 869.
43. Murdoch, iii, 445-50.

44. *Encyc. Brit.*, viii, 910.
45. Gowen, 115.
46. Sansum. W. D., M. D., *Normal Diet*, 76.
47. Brinkley, i, 209, 213.
48. Shonagon, LadySei, *Sketch Book*, 29.
49. Brinkley, iv, 176-81 ; ii, 92, 104 ; Hearn, 257 ; Holland, Clive, *Things Seen in Japan*, 172.
50. Brinkley, i, 139, 209-10 : iv, 130, 175, 180.
51. Brinkley, ix, 176.
52. Chamberlain, 60.
53. Ibid.
54. Murdoch, i, 40.
55. Brinkley, iv, 164.
56. Ibid.
57. Ibid., i, 146 ; ii, 106.
58. Ibid., ii, 111-2.
59. Ganteby, E. V., *Cloud Men of Yamato*, 35-6.
60. Brinkley, ii, 258-66.
61. Okakura, 15.
62. Gowen, 213.
63. Ibid.
64. Okakura, 139 ; Brinkley, iii, 9.
65. Walsh, Clara, *Master-Singers of Japan*, 108.
66. Gowen, 23.
67. Binyon, 30.
68. Gatenby, 25.
69. Hearn. 85.
70. Ibid., 75, 80-1, 89 ; Murdoch, iii, 75.
71. Aston, 282 : Hearn, 78 : Redesdale, 92 :Brinkley, i, 149.
72. Armstrong, 55.
73. Brinkley i, 188.
74. Shonagon, 50.
76. Brinkley, iv, 142 ; Close, 62 ; Chamberlain, 504.
77. Ibid . 501 ; Keyserlinh, *Travel, Diary*, ii, 171.
78. Close' 61.
79. Hearn, 68, 83.
80. Genesis, ii, 24 ; Chamberlain, 166.
81. Nitobe, 141.
82. Cf., e.g., the pasage quoted in Bryan, 88.
83. Redesdale, 37 ; Ficke, A. D., *Chats on Japanese Prints*, 210; Chamberlain, 525 ; Keyserling, *Travel Diary*, ii, 200.
84. Brinkley, iv, 116.
85. Ibid , 120.
86. Murdoch, iii, 216.
87. Brinkley, ii, 49.
88. Redesdale, 34,
89. Brinkley, v, 257.
90. By Prince Aki, 740 A.D., in Gatenby, 33.
91. Tr. by Curtis Hidden Page, in Tietjens, 144.
92. Brinkley, v. 207 ; Murdoch, iii, 112.
93. Ibid., ii, 18-9.
94. Ibid., ii, 18 ; Brinkley, i, 181.
95. Ibid., i, 182.
96. Murdoch, i, 489.
97. Ibid., 603.
98. Ibid., 605 ; Armstrong, 171.
99. Brinkley, v, 254.
100. Murdoch, iii, 101, 113.
101. Ibid., 115-9.
107. Armstrong, 56f.
103. Ibid., 76 78, Aston, 263-4.
104. Ekken, Kaibara, *Way of Contentment*, tr. by K. Hoshino, 7f.
105. Ibid., 90.
106. 24, 17.
107. 24.
108. 33, 39, 43.

109. 85, 44, 59, 61, 49, 54. I have ventured to print the last two lines as poetry, though the text gives then as prose.
110. Murdoch, iii, 127.
111. Armstrong, 133.
112. Ibid.
113. Murdoch, iii, 129f.
114. In Armstrong, 222.
115. Ibid., 236f 226.
116. 263-4.
117. 261.
118. 241f.
119. 255 ; Murdoch, iii, 481.
120. Ibid., iii, 343-4.
121. Ibid., 474.
122. Ibid , 476f, 485 ; Aston, 319-32.
123. Murdoch, iii, 491-2.

الباب الثلاثون

1. Close, 28.
2. Bryan,13-15 : Aston,56-7;Gowen, 125.
3. Carter, 35.
4. Ibid , 178.
5. Close, 77.
6. Brinkley, i, 229 ; iv, 136.
7. Gatenby, 27.
8. Bryan, 54, 74.
9. Aston, 263.
10. Tr. by Curtis Hidden Page, in Tietjens, 162.
11. Tietjens, 163.
12. Murdoch, ii. 515.
13. Murasaki, Lady, 239.
14. Ibid., 149, 235 ; Shonagon, 51.
15. Murdoch, iii. 326,
16. Noguchi, Yone. *Spirit of Japanese, Poetry*, 11.
17. Gatenby, 97-102 ; Tietjens, 159.
18. Holland, 157.
19. Murdoch, iii, 470.
20. Gowen, 128.
21. Murasaki, 33, 29.
22. Ibid., 75.
23. 98, 134.
24. 144.
25. 46.
26. 50.,
27. Bryan, 65 ; Gowen, 128.
28. Holland, 137 ; Aston, 56.
29. Ibid., 346-8. 391.
30. Ibid., 269-71.
31. Ibid., 392.
32. Murdoch, i, 571.
33. Aston, 255.
34. Brinkley, v, 112.
35. Aston, 249.
36. Gowen, 268.
37. Murdoch, iii, 240.
38. Aston, 116.
39. Ibid., 114f. I have changed the the order of the last five items.
40. Aston, 197-9 ; Bryan. 100.
41. Redesdale, 84.
42. Close, 65.
43. Okakura, 132.
44. Noguchi, 11.
45. Bryan, 136.
46. Brinkley, iv, 110.
47. ibid., vi, 113 5.
48. Aston, 279.
49. Okakura, 112 ; Brinkley, viii,79.
50. Brinkley, vii, 319.
51. *Encyc, Arit.*, vii, 960.
52. Brinkley, i, 219 ; iv, 156 ; Chamberlain, 340-3.
53. Brinkley, iv, 78.

54. Muraski, 212.
55. Chamberlain, 84.
56. Brinkley, vii, 157.
57. Ibid., vii, 84.
58. Fenollosa, i, 56.
59. Gowen 105.
60. Murdoch, i, 503.
61, Ledoux, L.V., *Art of Japan*, 62.
62. Armstrong, 9.
63. Brinkley, vii, 77.
64. Gowen, 124.
65. Ibid., 213.,
66. Brinkley, viii, 11.
67. Ibid., 265.
68. 25.
69. 180.
70. 185.
71. 236.
72. Brinkley, vii, 839.
73. Ibid., 9.
74. Brinyon 53.
75. Ibid , 20.
76. Fenollusa, ii, 81.
77. Okakura, 113.
77. *Encyc. Brit.*, vii, 964.
79. Ledoux, 26.
80. Ibid , 28.
81. Gowen,284.
82. Fenollosa, ii, 183. it should be added that in the opinion of some critics Matabei is a mythical personage.
83. Ficke, 282-94.
84. Gowen, 285 ; Ficke, 363.
85. Noguchi, 27.
86. Ficke, 363.
87. Gowen, 284.
88. Fenollosa, ii, 204.
89. Gowen, 285.
90. Dickinson, G. Lewes, 65.
91. *Ten O'elock, Sub fine.*

الباب الحادي والثلاثون

1. Merdoch, iii, 456; Gowen, 287.
2. Ibid., 298-9.
3. 300.
4. 312.
5. Brinkley, iv, 217.
6. Ibid., 81, 256.
7. Close, 325.
8. Ibid., 165.
9. Gowen, 349.
10. Close, 149.
12. Gowen, 376.
13. Close, 372.
14. *Word Almanac*, 1935, p. 667.
15. Close, 395.
16. *Almanac*, 668 ; Close, 391 N.Y. *Times*, April 15, 1934.
17. Gowen, 341.
18. Close, 289.
19. Eddy, 119. Park, 250; Holland, 148-52 ; Barnes, Jos., ed., *Empire in the East*, 70.
20. Eddy, 124f.
21. Ibid., 118., 136.
22. Hearn, 488.
23. Barnes, 69 ; Close, 373. The Maurette Report, of June 1, 1934, to the InternationalLabor Office, accepts this explanation of the low wage-level in Japan.
24. Close, 344.
25. Hearn 17.
26. Close, 134-42.
27. Chamberlain, 314 ; Close, 302.
28. Ibid., 198.

29. Chamberlain, 447.
30. Close, 177f.
31. Eddy, 127.
32. *Almanac*, 669.
33. Brinkley, v, 83.
34. *Almanac*, 669.
35. Tsurumi, Y., *Present-day Japan*, 68.
36. Walsh, 116; Bryan 40, 194.
37. Tsurumi, 59.
38. Gowen, 416.
39. Barnes, 51.
40. Ibid., 48-50. 197.
41. Gowen, 369-70.
42. Ibid., 402.
43. Barnes, 75; Close, 377.
44. *Almanac*, 974.
45. Barnes, 62.

obeikandl.com

فهرس الأعلام

(ا)

أبقراط ٢٠٢
إتوا ١٦٨
أجانتا ١٤٢
أدولف كروش (أمريكى) ١٢٠
أراى هاكوسيكى (عالم) ٧٢ ، ١٠٨
أريتا (مدينة لصنع الخزف) ١٣٧ ، ١٣٨
إزومو ياما (مصدر البورسلان) ١٣٨
استينوس (فنان) ١٢٥
أشور بانيبال ٢٠٣
أشياى (فيكونت) ١٩١
اشيكاجا (اسرة) ٢٣ ، ١٢٣
أشيكاجا تاكاوجى (قائد عسكرى) ١٤٦ ، ١٤٧
اشيكاوا (عالم دينى) ٧٢
أفلاطون ٢٠٣ ، ٢٠٥
أكاهيتو (شاعر) ٩٢
اكن (فيلسوف) ٦٤
إل جريكو ١٤٤
أما تيراسو (آلهة الشمس) ٨ ، ٨٧
إمرسن (كاتب أمريكى) ٧٧
أميدا — بوذا ١٣٠ ، ١٤٤
إندرو (حلية للزينة) ١٢٠
إنكيو (إمبراطور) ١١٨
أنوبى ١٦٨ ، ١٩٣
أواسا ماتابى (فنان) ١٥٤
أوتومارو (فنان) ١٥٦
أوحيوسورای (مفسكر) ٨٢ ، ٨٤ وما بعدها
أور — انجور (مشرع) ٢٠٠
أورنجزيب ١٣١
أوساكا ١٤٤ ، ١٢٥ ، ١٥٥ ، ١٧٤ ، ١٧٥
أرسكار وايلد ٦٠
أوغسطس ٢٠٥
أونا ديكاكو (كتاب) ٧٩
أونكى (رسام) ١٣١
أونوجورينمون (نحات) ١٣٣
أونى (شيطان) ٧٠
أويومى (مدرسة فكرية) ٨٠ وما بعدها
إيبرجت دى قيصر (خزاف هولندى) ١٣٨
إيتا (طبقة اجتماعية) ٤٦ ، ١٨٦
إيتوتوجاى (مفكر) ٨٤
إيتوحنمى (مفكر) ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥
إيتو هيروبومى ١٦٩ ، ١٧٠
إيزاناجى (إله) ٨ ، ٨٧
إيزانامى (آلهة) ٨ ، ٨٧ ، ١١٨
إييامو (حاكم) ٢٤ ، ٢٨ وما بعدها ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٦٤ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ١٦٥
أييتسو (حاكم) ٣٣ ، ١٢٥
أييسادو (حاكم عسكرى) ١٦٧
إيشى يو (كاتبة) ١٨٦
إييمتسو (حاكم عسكرى) ٣٩
إيينارى (حاكم عسكرى) ٦٦
أييوشى (إمبراطور) ١٦٦

(ب)

بارمنيدس ٢٠٢
باسومارو (مؤرخ) ١٠٥
بركليز ٢٠٠ ، ٢٠٥
بكوك (أوراق) ١١٦
بيرى (قائد بحرى أمريكى) ١٦٦ ، ١٦٧

بوذا ١١٧ ، ٢٠٢
بوذية ١٤
بوشيدو (قانون الفروسية) ٣٨ وما بعدها
بوكا (قالب فى الشعر) ١٨٦ ، ١٨٧
يوبي (هنرى) ١٩٤
يبيو (صا مجموعه من الصور) ١٤١
بيوا (آلة موسيقية) ١١٨

(ت)

تاج محل ١٣١
تاكا (أمير) ١٥
تاكا توكى (حاكم) ٢٣
تاكاكورا (قصر) ١٢٤
تاكا مورا (نحات) ١٣٣
تاكامين (عالم) ١٨٣
تاكابوش (فنان) ١٤٥
تانج (حاكم) ١٨
تانكا (قالب فى الشعر) ٩٤ ، ٩٦ ، ١٨٦ ، ١٨٧
تانيو (فنان) ١٤٨
تاهيتو (شاعر) ٥٦
تايرا (أسرة) ١٧
تاى — ينج (ثورة) ١٦٦
تراث (كتاب للامبراطور أبياسو) ٣
تسورا يوكى (شاعر) ٥٩ ، ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٣
تسونا يوشى (حاكم وراع للفنون) ٣٣
تشمبرلين ١٨٨
تشيو (شاعرة) ٥٩
تلمود ٢٠٥
تنش تينو (مشرع ٤٤ ، ٩٠
توبا سوجو (فنان) ١٤٥
توجو (أميرال) ١٧٣
توجوواكا (أسرة حاكة) ٣٦
تودايجى (معبد) ١١٨ ، ١٢٣
تورو كوجوموتو (فنان) ١٥٥
توسا (مدرسة فنية) ٣٣ ، ١٤٥
توسون (شاعر) ١٨٦ ، ١٨٧
توشيرو باكى (آثار خزفية) ١٣٧
توكوجاوا (أسرة حاكة) ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٧٢ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٦٥
توكو جاواشو جوناتى ٧
توم چونز (قصة) ١١٦
تويانا (زعيم وطنى) ١٨١

(ث)

ثورو (كاتب أمريكى) ١١١

(ج)

جنبتو شوتوكى (كتاب تاريخ) ١٠٦
جنجى (قصة) ٦٥ ، ٩٩ وما بعدها ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٤٥
جنروكو (حاكم) ٣٣ ، ٩٧
جنشى (موت التابع عند موت متبوعه) ٣٩
جوتز سايجيرو ١٣٩
جودايجو (إمبراطور) ٢٣
جوكاكو (نحات) ١٣١
جوكى (نحات) ١٣١
جوناس . هانواى (كاتب) ٥٨
جيبنشا إيكو (قصص) ١٠٤
جيته (الشاعر الألمانى) ٧٦ ، ٧٧
جيزو (إله) ٧٠
جيشا (طائفة الغوانى) ٦٦

(ح)

حورايى ٢٠٠

(د)

دارا ٢٠٠

دايبوتسو ١١٨
دايجو (إمبراطور مستنير) ١٨ ، ٩٢
داى نهونشى (كتاب تاريخ) ١٠٦
دلفت (مكان لصناعة الخزف فى هولنده) ١٣٨
دنجيو دايشى (كاهن) ١٤٤

(ر)

راكوياكى (اسم لنوع من أقداح الشاى) ١٣٨
رالف آدمز كرام ١٢٣
روكيو (واضع قواعد شرب الشاى) ٥٧ ، ١٣٨
روسو ٦٠ ، ٦٩ ، ٨٥
روزفلت ١٧٢ ، ١٩٢
روكفلر ١٨٤
روناؤات (فئة من السيافين) ٤١
ريزا مپى (خزاف) ١٣٨

(ز)

زن (حالة فى البوذية) ١٤٤ ، ١٤٦
زنجورو هوزن (خزاف) ١٤٠
زينون ٢٠٢

(س)

ساتسوما (مكان لصنع أقداح الشاى) ١٣٨ ، ١٣٩
ساتو (سير) ٨٦
ساكون (مثال للهاراكيرى) ٤٢
ساموراى (حملة السيف) ٢٨ وما بعدها ، ٣٧ وما بعدها
ساميزانة (آلة موسيقية) ١١٨
سانتوكيودن (قصصى) ١٠٣
سايجيو هوشى (شاء) ٩٥
سبنسر (فيلسوف انجليزى) ١٨٢
سبينوزا ٧٥ ، ٨١
سبيوكيو (انتحار ببقر البطن) ٤٠
سرجون الأول ٢٠٠
سى شوناجون (مؤلفة) ٥٣ ، ٦٣ ، ٦٥ ١٠٨ وما بعدها
سيشيو (فنان) ١٤٦ ، ١٤٧
سقراط ٢٠٢
سوجاوار (أسرة) ١٧
سوجاوارا ميتشيزانى (راع للأذب) ٩٧
سوكوكوجى (مدرسة فنية) ١٤٦
سويكو (إمبراطورة) ١٤ — ١٢٢
سيتو (مدينة لمصنع الخزف) ١٣٧

(ش)

شاراكو (فنان) ١٠٥
سنتو (ديانة) ١٣ ، ٧١ ، ٨٦ ، ١٢٢ ، ١٦٨
شنجون (مذهب دينى) ٧١
شنشو (فنان) ١٥٨
شوبون (فنان) ١٤٦
شوتوكوا ٩٠ ، ١٢٢
شوتوكوتايشى (أمير) ١٤ ، ١٣١ ، ١٨٨
شوجن (اسم للحاكم العسكرى) ٣٦ وما بعدها
شودنو (فنان) ١٤٦ ،
شوشو (بلد سيشيو) ١٤٧
شومو (إمبراطور) ٤٥ ، ١٣١
شونزوى (خزاف) ١٣٧
شوهى (مؤلف) ٧٣
شيكاماتسو (مؤلف مسرحى) ١١٥
شكسبير ١١٢ ، ١١٥
شيما رزو (أسرة حاكة) ٣٧
شيما زويو (قائد) ١٣٨

(ص)

صنج (فنان) ١٤٥ ، ١٦٣

(ع)

عمارى (ميناء) ١٣٨

(ف)

فايفس (نوع من الخزف) ١٣٩
فتزجرولد (المترجم رباعيات الخيام) ١٠٢
فرانسراكساثير (مبشر) ٢٧
فرا انجليكو ١٤٤
فلاسكويز (فنان) ١٥٩
فنلوزا (مؤلف) ١٢ ، ١٨
فويجيوارا (أسرة) ١٧ ، ١٨ ، ١٤٥
فيديامى ١٢٥
فيلدنج (قصصى انجليزى) ١١٦
فيوجى (جبل معبود) ٩
فيواجوارا سيجوا (مفكر) ٧٣ ، ٧٤

(ق)

قبلاڤان ٢٢ ، ١٢٤
قيصر ٢٠٥

(ك)

كايوكى شيبای (مسرح شعبى) ١١٤
كاتاكاتى (نوع من الكتابة) ٨٩
كاتو شيروزيمون (خزاف) ١٣٧
كاجا ١٣٩
كاجا نوشيو (شاعرة) ٩٦
كاجاوا (اشتراكى مسيحى) ١٧٧
كارلايل ١٥٠
كاسوجا ١٤٥
كاكيمون (خزاف) ١٣٨
كاكيمونو (نوع من التصوير) ١٤٢
كاماتارى ١٥
كاماكورا ١٣٣
كامونوشوى (أديب) ١١٠
كاناجاوا (معاهدة) ١٦٧
كانايامًا (شيوعى) ١٧٧
كانجاكوشا (طائفة علمية تناصر الصين) ٨٥
كانج ته ١٩٤
كانو (مدرسة فنية) ٣٣
كانوبيتوكو (فنان) ١٢٤ ، ١٤٨
كابوماسانوبو (فنان) ١٤٧
كانو موتوبو (فنان) ١٤٧
كايبارا إكن (مفكر) ٧٧
كتزان (خزاف) ١٣٩
كوانون (آلهة) ٧٠
كوبودايشى (قديس) ٧١ ، ١٣١ ، ١٤٤
كوتانى (مكان لصنع الخزف) ١٣٩
كوتسوكى ٤١
كوجون (إمبراطور) ٢٣
كوجيكى (كتاب) ١٠٥
كورين (فنان) ١٣٩ ، ١٤٨
كومى نو (فنان) ١٤٤
كوشين (إمبراطور) ٤٥
كوكن (إمبراطورة) ٦٥
كوكنشو (ديوان شعر) ٩٢ ، ٩٤
كوكى (نحات) ١٣١
كومازادا (مفكر) ٨٢ ، ٩١
كونفوشيوس ٢٥ ، ٣٢ ، ٧٣ ، ٨٢ — ٨٥
كوياسان (دير) ٧٠
كوتيسوكورين (مدرسة فنية) ١٤٨
كيتا باتاكى (مؤرخ) ١٠٦
كيتا ساتو (عالم) ١٨٣
كيكى (حاكم عسكرى) ١٦٨
كيمفر (مؤلف) ٤٩
كيميارو (نحات) ١٣١
كيوتو (حاكم) ٥٣
كيوكوتى باكين (قصصى) ١٠٤

كيون ١٤٥
كيونا جا (فنان) ١٥٥

(ل)

لافكاديوهيرن (مؤلف) ١٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ١٧٧ ، ١٨١
لانديكوا (بحار إسبانى) ٣١
لافسنج (وزير) ١٩١
لنجفورد (مؤلف) ٣٨
ليتن (إيرول) ١٩٣
ليوفاردو ١٤٧ ، ١٦٣

(م)

ماتسورا – باشو (شاعر) ٩٧
ماروياما أوكيو (فنان) ١٥٠ – ١٥٢
ماكيمه نو (نوع من التصوير) ١٤٢
مانيوشو (كتاب قديم) ٩٢
مايوشى (كتاب ومفكر) ٧٢ ، ٨٦ ، ١٦٦
متسوكونى (حفيد أيياسو وهو مؤرخ ١٠٦
منشاواكى (صناعة خزفية) ١٤٠
مردوخ (كاتب) ٧٢
المسيح ٢٠٥
مكدن (مذبحة) ١٧٢
مل (ستيوارت) ١٨٢
ملت (مصور) ١٦٣
منج (مكان لصناعة الخزف) ١٦٣
موتو أورى (مصلح دينى ومفكر) ٨ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٦٦ .
موراساكى توشيكيو (كاتبة قصصية) ٩٩ وما بعدها ١١٦ ، ١١٩
موروكيوسو (مفكر) ٧٥
مورس ولبم) ١٥٠
موري سوزن (فنان) ١٥٢
موليير ٨٤
مودو (امبراطور) ٤٤ ، ٩٠
ميسوهيتو (امبراطور) ٣٩
مينا موتو (أسرة) ١٧ ، ٢٣
مينا موتوسانيتومو (حاكم شاعر) ١٨ ، ٢١

(ن)

نابليون ١٧٠ ، ١٨٣
نابونيدوس ٢٠٣
نارا ٤٦ ، ٥٣ ، ٨٩ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٣٣
ناكابى توجو (مفكر) ٨١
ناميكاوا تنجين (كاتب) ٨٤
نايكى (مثال للهاراكيرى) ٤٢
نتسوكا (حلية للزينة) ١٢٠ ، ١٣٣
نحوشى (عالم) ١٨٣
نكو ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٤٨
ننسى (خزاف) ١٣٩
نوبوناجا ٢٤ ، ٢٥ ، ١١٤ ، ١٣٨
نوجى (قائد حربى) ٣٩ ، ١٧٢
نيبون (معناها اليابان) ٨
نيشى هنجوان (معبد) ١٢١ ، ١٢٤
نينجى (إله) ٨

(هـ)

هاراكيرى (طريقة الانتحار) ٤٠ ، ١٩٣
هارونوبو (فنان) ١٥٤ ، ١٥٥
هاشيمارو (مثال للهاراكيرى) ٤٢
هانكامبو (كتاب تاريخ) ١٠٧
هاياشى رازان (مفكر) ٦٤ وما بعدها ٩١
هتو ٣٩
هوبز (فيلسوف انجليزى) ٨٥

هوجه (أسرة حاكمة) ٢٢
هوجوكى (كتاب مقالات) ١١٠
هوريوجى(معبد) ١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٣
هوكو (نوع من الشعر) ٩٧
هوكوساى (فنان) ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٤
هوكوكى (كتاب) ٤٧
هومر ١١٦
هون تسى (مفكر) ٨٥
هياكونن إشو (ديوان شعر) ٩٥
هيتومارو (شاعر) ٩٢
هيدارى جنجاو (فنان) ١٢٠ ، ١٢١
هيد يورى (امبراطور) ٢٧ ، ٢٨
هيد يوشى (امبراطور) ٢٤ وما بعدها ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٦٦ ، ١٨٨
هيد نيادا ٣٢ ، ٣٣
هيراتا (مفكر) ٨٧
هيرادو (حاكم) ١٤٠
هيرود ٢٠٥
هيروشيجى (فنان) ١٥٤ ، ١٥٩
هيزاكوريج (قصة) ١١٦
هيزن (إقليم لصنع الخزف) ١٣٧ ، ١٤٠
هيشيكاوا موروفوبو (فنان) ١٥٥
هينى (شاعر ألمانى) ٢٠١
هيوز (وزير أمريكى) ١٩١ ، ١٩٢

(و)

واجاكوشا (طائفة علمية تتعصب ضد الصين) ٨٦
وانج يانج منج (مفكر) ٨ ، ٨١
وايبوستو (تمثال) ١٣٣
تمان (كاتب أمريكى) ١٥٩
وردزورث ٦ ، ١٠٢
وسلر (فنان) ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣
ويلى (مترجم قصة جنجى) ١٠٢
ياجودا ١٢٤
ينهونجى (كتاب تاريخ) ١٠٦
يوبانشاد (كتاب مقدس هندى) ٢٠٢
يوريتومو ٢١ ، ١٣٧
يورى (حاكم) ١٦٧
يوسيمتسوا (حاكم عسكرى) ١٤٦
يوشيماسا (حاكم محب للفنون) ٢٣ ، ١٤٧
يوشيمنسو (حاكم محب للفنون) ٢٣ ، ٧٢ ، ١٢٣
يوشيمونى (حاكم) ٢٣ ، ٤٥ ، ١٦٥ ، ١٨٨
يوكيوبى (مدرسة فنية) ١٥٤ — ١٥٧ ، ١٥٩
يومى — مى — مون (بوابة مشهورة) ١٢٥
ييشن سوزو (كاهن) ١٤٤

obeikandl.com